دور الحركة الإسلامية في تصفية الإقطاع

محمد مورو وقرقر

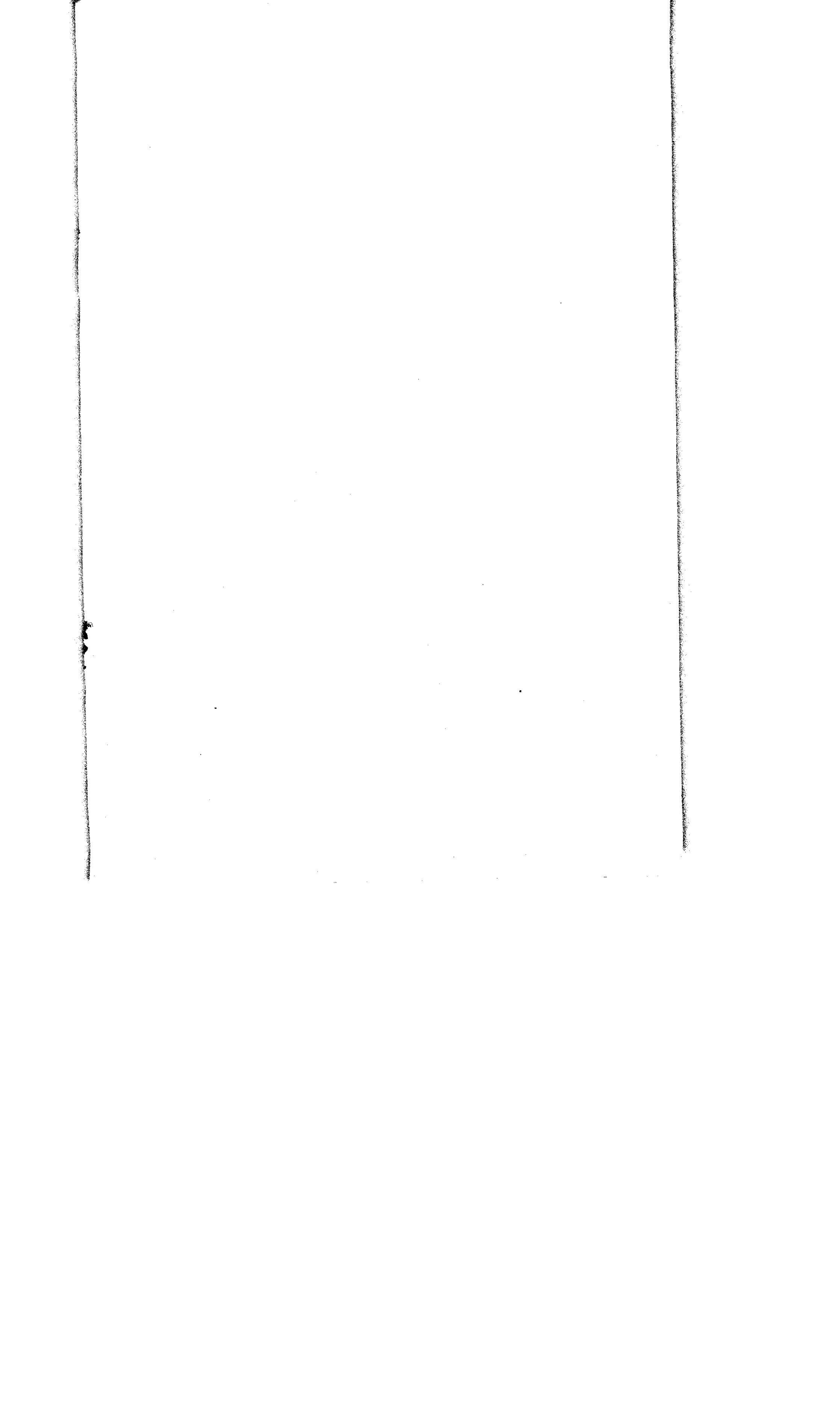
دار البحوث العلمية

الطبعة الأولى

١٩٨٠ م – ١٤٠٠ هـ

دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع
شارع فهد السالم ـ عمارة الاوقاف رقم ٤ شقة ٢٨
هاتف : ٤٣١٩٨٢ ـ ٤١٤٢٢٠
ص. ب ٢٨٥٧ ـ الكويت
برقيـا : دار بحوث

دور الحركة الإسلامية
في
تصفية الإقطاع



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحركة الاسلامية حركة ثورية انقلابيـة تؤمن بمنهـج الانقلاب الاسلامى ولا تؤمن بالاصلاح من خلال النظام القـائم ومحاولة ترقيعه أو ترميمه أو الباسه ثوبا شرعيا اسلاميا انهـا تؤمن بان يعاد بناء واقع اسلامى على انقاض الواقع الجاهلى ٠

ان الحركة الاسلامية لابد ان يكون لها استراتيجية محددة وتكتيك ينبع اساسا من سماتها الاصيلة التى جاءت فى كتـاب ربها وسنة نبيها وكذلك من سماتها المتغيرة التى تستمدها من واقعها فى ضوء منهجها الكشـاف الذى تحمـله وهو المنهج الاسلامى ٠

ان الحركة الاسلامية تحمل مقرر أو رسالة الى العـالم أجمع وهى بالتالى عليها ان تفرز بوضوح جماهيريا وحلفائهـا واعدائها فى معسـكرات متميزة ، عليهـا ان تتبنى مطالب الجماهير فى الحريات السياسية والعدالة الاجتماعية والتقـدم بهم صوب آمالهم العريضة بهـدى من القـرآن وباسترشاد من السنة ٠

ومن البديهى بعد هذا ان يقف مع الحركة الاسـلامية فى خندق واحد كل المستضعفين فى العالم مسلمين وغير مسـلمين لانها تتبنى مطالبهم وتعبر كأروع ما يكون التعبير عن آمالهـم وطموحاتهم فى المستقبل ٠

ومن البديهى أيضا أن يقف فى معسكر اعدائها تلك الطبقة المترفه التى تعيش متطفلة على جماهير الشعب المسحوق - ولعل القرآن قد لفت نظرنا الى هذه الحقيقة حينما قال سبحانه وتعالى فى سورة هود « **فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل - بل نظنكم كاذبين** » .

وهكذا أوضع الله سبحانه الى أى المعسكرين ينتمى رسله وأى المعسكرين هو الحليف الطبيعى لدعوة الله سبحانة وتعالى .

ان الحركة الاسلامية حينما تعرف ان حليفها الطبيعى هو الطبقة المسحوقة والمظلومة فانها تتخذ مواقفها على هذا الاساس وان على الحركة الاسلامية ان تلتحم بتلك الطبقة وتدافع عنها .

ان الحركة الاسلامية لها رصيد هائل يؤيد ذلك تماما رصيد ثورى عظيم متمثل فى نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ورصيد من الواقع الذى انشأه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والجماعة الاسلامية الاولى ورصيد فى عهد الخلافة الراشدة .

ولها ذلك الرصيد الذى تركته الحركة الاسلامية المعاصرة ابان نشأتها فى كفاحها الدائب ضد الاستعمار والرأسمالية كحليفة للاستعمار وضد الجهل والامية والاستبداد السياسي وضد الاحزاب العميله .

لها ذلك الرصيد كله تستلهمه وتطوره فى محاولة منهـــا للوصول الى حكم الله الذى يتميز بالعدل والقوة والحرية .

ان الحركة الاسلامية تبنى نفسها مع الجماهير المطحونة وتبنيها لمطالبها والدفاع عنها فانها تعرف :

أولا : ان تلك الجماهير هى حليفها الطبيعى .

ثانيا : ان مناصرة المظلومين فريضة اسلامية .

ثالثا : ان الترف والفساد هما سبيل دمار الامم .

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

ان الحركة الاسلامية عليها ان تخوض معركتها فى سبيل العدالة الاجتماعية والذين يريدون ان يبعدوا الاســلام عن تلك المعركة اما أغبياء أو مضللون .

ان الاسلام هو أقدر الأفكار حيـــوية فى مواجهـــة ذلك الظلم ، لأن الاسلام يملك رؤية ربانية ثورية قادرة على مواجهة ذلك الظلم فضلا عن أن الاسلام قد أصبح ضمير الأمة ووعيهـــا بعد أن عايشته ١٤٠٠ عاما ومن ذا الذى يســـتطيع أن يجتث الأمة من جذورها ليزرعها فى بيئة غير بيئتها .

ان الذين يريدون أن يبعدوا الاسلام عن هذه المعـــــركة ليخوضوها تحت رايات أخرى كالشـــيوعية أو الاشـــتراكية أو

غيرها انما يخونون أنفسهم ان كانوا مخلصـــين فى دعـــوى العدالة أو يخونون الجماهير جهلا بقيمة القـــوة الكبرى التى يزودهم بها الاسلام - أو عداوة مريبة لهذه القوة العظيمة .

اننى أفهم جيدا ان تنصيب اعداء الجماهير من المستغلين والطغاه للاسلام لينحوه عن هذه المعركة اما استغلال المحترفين لاصدار الفتاوى المكذوبة على الدين واضطهاد الدعاه الحقيقيين لعدالة الاسلام واتهامهم بشتى التهم سـعيا للتخلص من هـــذا السيف الحاد والمصلت على رقاب البغى والاسـتغلال - اما ان ينصب للاسلام دعاة العدالة الاجتماعية فذلك أمر عندى مفهوم وان وراءه لخبيئايجب أن يفطن اليه الابرياء - الذين يريدون العدالة لذاتها ويكافحون للجماهير وحدها - ويتجردون لهـذه الغاية النبيلة بلا رياء ولا التواء .

وان هذا البحث لخطوة فى طريق النضال الاسلامى ضد كافة أنواع الظلم الاجتماعى والاقتصادى .

الانتصار للمظلومين فريضة إسلامية

ـ الاسلام يحض المظلومين على عدم السكوت للظلم :

« ان الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ـ قالوا ـ الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مآواهم جهنم وساءت مصيرا » .

ويحض المظلومين على الدفاع عن أنفسهم **« من قتل دون مظلمته فهو شهيد »**

ويحض على التصدى للظالمين

« من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل أو بقول كان على الله أن يدخله مدخله » .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة اسلامية وهل يوجد منكر أكبر من الظلم ؟

الاسلام يأمر بالانتصار للمظلومين والدفاع عنهم :

« والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله ـ انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما

السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغـــير الحق - أولئك لهم عذاب اليم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما من مسلم يخذل مسلما فى موضع تهتـــك فيـه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موضـــع يحب فيه نصرته وما من امرىء مسلم ينصر مســـلما فى موضـــع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى مواطن يحب فيها نصرته .

كما قال عليه الصلاة والسلام :

لايقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على كل من حضر حين لم يدفعوا عنه ولا يقفن أحدكم موقفـــا يضرب فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه .

كما قال عليه الصلاة والسلام فيما حكى عن ربه :

وعزتى وجلالى لا نتقمن من الظالم فى عاجـله أو آجله وانتقمن ممن رآى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل » .



تمهيد

ان الدراسة الواعية لتاريخنا الاقتصادى تعطى للوهلة الأولى انطباعا لأى باحث أن الانماط الاقتصادية والعلاقات الانتاجية التى سادت أوربا لم نعرفها قط فى بلادنا وان محاولة التعامل مع تاريخنا الاقتصادى والسياسي بمفهوم الاكليشيهات هو خطأ علمى جسيم . اننا بصدد البحث عن موقف الاسلام والحركة الاسلامية من الاقطاع نجد أنفسنا نطرح عدة أسئلة .

ما هو الاقطاع ؟

وهل سادت العلاقات الاقطاعية يوما فى بلادنا واذ لم تكن قد سادت فما هو الشكل الاقتصادى الذى مارسته طبقة كبار الملاك فى بلادنا ؟

ثم نجد أنفسنا بعد الاجابة عن تلك التساؤلات نسأل أنفسنا ثانيا لماذا اختلفت العلاقات الانتاجية فى بلادنا عنها فى أوربا ؟؟

وهل يرجع ذلك الى ظهور الاسلام وانتشاره فى تلك المنطقة من العالم ؟؟

حسنا وان كان ذلك كذلك فهل يقودنا ذلك الى عدم صحة التفسير الماركسي للتاريخ وصحة التفسير الاسلامى للتاريخ ، اننا بدراستنا لتلك الاسئلة ومحاولة الاجابة عليها نخرج بنتيجة هامة جدا وهى .

ان الاسلام يقف موقفا معارضا تماما لأى نوع من أنواع الاستغلال الاقتصادى والسياسي والاجتماعى وبالتالى فهو يرفض الاقطاع وان كل صور الاستغلال التى مورســت فى بلادنا فى فترات تاريخية محددة كانت بسبب ابعاد التطبيق الاسلامى عن الواقع ومحاولة فصل الاسلام عن الحياة الواقعية والاجتماعية للأمة ووقوع السلطة فى يد أنظمة غير اسلامية .

وان كان هذا يطرح الجهاد من قبل الطليعة الواقعة ضـد هذا الواقع .

ما هو الاقطـــاع ؟

اننا بصدد التعامل مع كلمة الاقطاع أمام مشكلتين :

١ – ان الكلمة ارتبطت بتاريخ القرون الوسطى بخاصـــة فى أوربا بمفاهيم ونظم معينة حتى أصبحت نتيجـــة لذلك تثير فى الذهن لدى استماعها كل تلك المفاهيم والنظـــم التى كانت تحدد علاقات الفلاح بصاحب الأرض وتنظـم حقوقها فى العصور الوســـطى فى أوربا ولكن اذا عزلنا الكلمة عن تلك الاشراط فانها تعنى لغويا أمرا لا يمت الى تلك المعانى بصلة وهما فى اللغة العربية وفى المفهـــوم الفقهى الاسلامى « حق العمل فى مصـدر من مصـــادر الطبيعة يمنحه الامام لشخص ما بغرض تحقيق مصـلحة الأمـــة » .

وعلى كل حال فليست كلمة الاقطاع وحدهـــا هى التى تشكل ذلك اللبس بسبب ظروفها التاريخية فمثلهـــا

كلمة الاشتراكية وكلمة الرعية فانها فى الفقه الاسلامى تعنى معنى منفصلا انفصالا تاما عن المعنى الذى تحمله تاريخيا ٠

٣ - ان بعض الكتاب يطلقون ذلك الاسم بوصفه تمييزا لحالة اجتماعية معينة على حالات أخرى ليست مماثلة لتلك الحالة فمثلا يطلق البعض على الرأسمالية الزراعية المستغلة كلمة اقطاع برغم المضمون الاجتماعى والعلاقات الاقتصادية بين الاقطاع الاوربى والرأسمالية الزراعية المستغلة التى شهدتها بلدان أخرى وعلى ذلك فنحن نتحفظ كثيرا فى اطلاق وصف الاقطاع بالمعنى الفنى للكلمة على عصر معين من غير عصور التاريخ الأوربى (١) ٠

وعلى ذلك فنحن مطالبون بالتفريق بين كلمة الاقطاع الأوربى بوصفه حقبة تاريخية وبين الرأسمالية الزراعية المستغلة من ناحية وبين كلمة الاقطاع بالمفهوم اللغوى أو الفقهى من ناحية أخرى ٠

ولكن ما هو الاقطاع الأوربى :

الاقطاع الأوربى هو حقبة تاريخية بكل ما ساد فيها من علاقات اقتصادية واجتماعية وسياسية ولقد ساد النظام الاقطاعى

---

١ - الاصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها - للدكتور محمود متولى - الهيئة العامة للكتاب سنة (١٩٧٢)

أوربا فى العصور الوسطى وانتهت تلك الفترة بالثورة الصناعية وظهور الرأسمالية .

وأهم سمات النظام الاقطاعى الأوربى هى :

١ - وجود اقطاعيات يملكها أحد الافراد من طبقة النبلاء وتقسم أرض تلك الاقطاعية الى قسمين :

أ - قسم خاص بصاحب الاقطاعية .

ب - أراضي مقسمة على الرقيق وفى مقابل انتفاع العبيد بالأرض التى فى حوزتهم يقومون بالعمل لصاحب الاقطاعية فى قطعته الخاصة هم وأولادهم ومواشيهم وأدواتهم الزراعية كذلك (٢) .

٢ - يقوم النظام الاقطاعى على أساس ملكية صاحب الأرض لكل ما عليها من انسان وحيوان وجماد واذا باعها يبيعها بكل ما عليها .

٣ - تقوم العلاقات الانتاجية على أساس نظام السخرة (بعكس النظام الرأسمالى الذى يقوم على العمل المأجور) .

٤ - يمارس صاحب الاقطاعية سلطات مطلقة على اقطاعيته

---

٢ - ج وكوبلاند - ود - فيالوجرادوف (الاقطاع والعصور الوسطى فى أوربا) ترجمة دكتور محمد مصطفى زيادة القاهرة سنة ١٩٥٨ .
انظر أيضا كتاب نماذج من العصور الوسطى - أملين بور - ترجمة محمد توفيق حسين دار الثقافة بيروت .
انظر أيضا كتاب الصراع بين البرجوازية والاقطاع - المجلد الاول دكتور - محمد فؤاد لطفى - دار الفكر العربى .

فهو يفرض الضرائب كما أنه هو الذى يحـدد التشريعات كما انه يمارس شكلا أو آخر من أشكال الاستغلال الذاتى عن الدولة ٠

٥ ـ ان المجتمع الاقطاعى ينقسم بشكل اساسي الى طبقتين ، طبقة السادة وطبقة العبيد ، وطبقة السادة يجـــرى فى عروقها الدم الازرق النبيل كما ان طبقة الاقنان طبقـــة منحطة والطبقتان متحاجزتان تماما ٠

مما سبق يتضح ان ما نشأ فى مصر ليس الا رأســـمالية زراعية لاعتماده على العمل المأجور وليس السخرة من ناحيـة ولعدم ممارسة مالك الأرض لأى شكل من السلطات التشريعية أو غيرها من فرض الضرائب ولا يمثل اســـتقلالا ذاتيا عن الدولة وان كانت تلك الرأسمالية الزراعية من أبشع أنواع الطبقات التى نكبت بها البشرية من ظلم وعسف وترف ٠

وهكذا بعد أن أوضحنا معنى الاقطاع فان علينا أن ندرس باختصار شديد الاقتصاد الاسلامى ـ وملكية الأرض فى الاسلام وكذلك تطور الملكية الزراعية فى مصر بالقدر الذى يلقى الضوء على دور الحركة الاسلامية فى تصفية الرأسمالية الزراعية ٠

النظام الاقتصادى الاسلامى (١)

اننا فى هذا البحث بصدد توضيح دور الحركة الاسلامية فى مواجهة الاستغلال الاقتصادى عموما والمتمثل فى الرأسمالية الزراعية بصفة خاصة ٠

ومن هذا المنطق فاننا نتحدث عن النظام الاقتصادى فى الاسلام بالشكل الذى يظهر ٠

١ ــ رفض الاسلام لكافة أشكال الاستغلال الاقتصادى ورفضه بشكل خاص للرأسمالية الزراعية موضوع بحثنا ٠

٢ ــ توضيح الاساس النظرى الذى استنذت اليه الحركة الاسلامية فى رفضها للرأسمالية عموما وللرأسمالية الزراعية خصوصا وبالتالى نفهم المبرر المذهبى والعقائدى للكفاح الذى خاضته الحركة الاسلامية فى مواجهة الرأسمالية الزراعية وحلفائها من الاستعمار والملك والاحزاب المرتبطة بهما ٠ أما وقد قررنا أن نوضح موقف الاسلام من الاستغلال الاقتصادى المتمثل فى الرأسمالية والرأسمالية الزراعية فاننا مطالبين بأن

---

١ ــ نود أن نشير الى انه قد يظهر بعض الغموض فى عدد من القضايا الخاصة بالنظام الاقتصادى فى الاسلام بسبب ايجازها الشديد ويمكن استجداء ما غمض منها بالرجوع الى كتاب « اقتصادنا » للاستاذ محمد باقر الصدر ٠

نلقى نظرة عابرة على الاقتصاد الاسلامى ثم نهتم فى هذا الصدد بالعدالة الاجتماعية فى الاسلام ، وبموقفـــه من ملكية الأراضي الزراعية . وبديهى اننا لســـنا مجتهدين بالقدر الذى يسمح لنا باستنباط المذهب الاقتصـــادى من النصوص أو الواقع الاسلامى مباشرة وبالتـــالى فلم يكن أمامنا الا أن نأخذ باجتهاد م نبحثوا فى هـــذا الشـــأن مثل(٢) الاستاذ محمد باقر الصدر فى كتابه « اقتصادنا » أو الاستاذ المودودى فى مؤلفاته المختلفة وكذلك مقـــالاته المترجمة الى العربية تحت عنوان « مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة » .

والاستاذ سيد قطب (العدالة الاجتماعية فى الاسلام) ، (معركة الاسلام مع الرأسمالية) .

الاستاذ محمد الغزالى (الاسلام والمناهج الاشتركية) ، (الاسلام وأوضاعنا الاقتصادية) ، (الاســـلام والاســـتبداد السياسي) .

الدكتور مصطفى كمال وصفى (مقالات فى مجلة المسلم المعاصر ومجلة الدعوة) .

---

٣ - للحقيقة فان الاستاذ محمد باقر الصدر فى كتابه « اقتصادنا » كان مرجعنا الاسلامى الاساسي فى هذا الصدد وقد اعتمدنا عليه بشـــكل يكاد يكون كاملا نظرا لأنه من وجهة نظرنا هـــو أكثر من تنـــاول المسالة بشكل موضوعى شامل كما انه خرج باجتهادات نظرية اكثر تحديدا من أى واحد منهم دون أن نغفلهم قدرهم .

الدكتور مصطفى السباعى (فى كتابه اشتراكية الاسلام)
الدكتور محمود أبو السعود (كتابه خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى ومقالات فى مجلة المسلم المعاصر) .

وفى محاولتنا لدراسة الاقتصاد الاسلامى يجب أن نلاحظ ما يأتى :

أولا : ان الاقتصاد الاسلامى جزء من كل : بمعنى ارتباط الاقتصاد الاسلامى بمفاهيم وعقائد ونظم الاسلام وعدم امكان دراسته وتطبيقه بمعزل عنها .

ثانيا : الاقتصاد الاسلامى اقتصاد اخلاقى وواقعى فى غايته وفى طرقه كذلك .

ثالثا : الاقتصاد الاسلامى اقتصاد متميز عن المذاهب الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وهو مخالف لها فى اساسها النظرى ، مخالف لها فى أساليبه ، مخالف لها فى غايته وان تشابهت بعض التفصيلات بين النظام الاسلامى واحدى هذه النظم ليس الا من قبيل تشابه عيون شخصين مثلا دون ان تربطها رابطة دم أو جنس .

رابعا : ان الاقتصاد الاسلامى لا يسمح بأى شكل من أشكال الاستغلال .

خامسا : انه اقتصاد يحقق الحد المتوازن من الحياة الكريمة لكل فرد دون أن يضع عائقا دون الارتفاع الى آفاق عليا دون ظلم أو استغلال .

سادسا : ان اقتصاد يضع على عاتق أولى الامــــر اتاحــة فرص العمل لكل قادر والحاجة لكل محتاج حتى لا يبقى فقير أو عاطل فى المجتمع الاسلامى دون النظـــر الى دينــــه أو جنسيته ٠

سابعا : انه اقتصاد مخطط بمعنى انه يجعـل للدولة الاشراف المركزى على الانتاج والتوزيع ٠

الهيكل العام للاقتصاد الاسلامى

١ ـ مبدأ الملكية ذات الاشكال المتنوعة .

٢ ـ مبدأ الحرية الاقتصادية عى نطاق محدود .

٣ ـ مبدأ العدالة الاجتماعية .

مبدأ الملكية ذات الأشكال المتنوعة

× **فى الرأسمالية** : الملكية الخاصة هى المبدأ العام والملكيـــة العامة استثناء لظروف قاهرة .

× **فى الاشتراكية** : الملكية العامة هى المبدأ العـام والملكيـــة الخاصة استثناء لظروف قاهرة .

× **أما الاســـلام** : فانه يسمح بملكيات ذات أشكال متنوعة(١) وليس لأحداها صفة المبـدأ العام والآخريات اســتثناء بل بوصفها تعبر عن تصميم مذهبى أصـــيل قائم عـلى أسس مذهبية ثابته وموضوعه داخل اطارها .

– **الملكية العامة** : وهى عام لمجمـوع المسـلمين مثل الأراضي العامـــرة بشريا حـــال الفتـــح الاســـلامى (الأراضي الخراجية)(٢) .

– **ملكية الدولة** : مثل الانقـــال (كل الثروات الطبيعيـــة من غابات ومعادن) .

– **ملكية خاصة** : تكتسب فقط عن طريق العمل الاســتثمارى بما لا يهدد التوازن العام .

١ـ اقتصادنا من ص ٢٥٧ الى ٢٦٠ .

٢ـ مثل كل أراضي مصر وسوريا والعراق وفلســطين وهى اراضي أما خراجية أصلا او محياه بماء الاخراج (يراجع فصل ملكية الارض فى الاسلام فى هذا الكتاب) .

مع ملاحظة أن الملكية الخاصة ذات مجال ضيق ويترتب عليها واجبات محددة تجاه الله وتجاه الجماعة ـ والملكية الخاصة وكالة عن الله الذى استخلف الجماعة فى الثروة ـ الملكية الخاصة أداه وليست غاية فى ذاتها وليست معيارا للكرامة أو الفضل في المجتمع ..

مبدأ الحرية الاقتصادية فى نطاق محدود

الاسلام لا يصادر الحرية الاقتصادية تماما كما تفعل الاشتراكية ، كما انه لا يتركها بدون حدود كما يملى النظام الرأسمالى .

ولكن الاسلام لا يعترف بالحرية الاقتصادية الا في نطاق محدود ويجعل لها حدودا تتمثل فى : ـ

١ ـ تحديد ذاتى :

نابع من أعماق النفس بناء علي التربية الاسلامية وانتشار المفاهيم الاسلامية فى المجتمع .

٢ ـ تحديد موضوعي :

أ ـ تشريعات محددة تمنع أعمالا محددة مثل الغش والميسر والربا وغيرها .

يلاحظ ان التحديد الذاتى دون التحديد الموضوعى ظل هو الضمان الوحيد لاعمال البر والخير بين المسلمين بعد انتهاء تطبيق الشريعة الاسلامية وخسارة الاسلام لتجربته فى الحياة وفقدانه القيادة السياسية والاجتماعية للحياة ...

ب - اشراف ولى الامر على الممارسة الاقتصادية واعطائهـــــا التوجيه الصحيح لصالح المجتمع وبما لا يهـــدد التوازن فيمكن أن يؤمم أو يمنع من ممارسة اقتصادية معينة حتى ولو كانت فى أصلها مباحة والمعيار فى هذا الأمـــر هو مصلحة الأمة الاسلامية .

مبدأ العدالة الاجتماعية

ونظرا لارتباطه الوثيق بموضوع البحث فسوف نناقشه فى فصل مستقل ضمن اطار مسئولية الدولة فى المجتمع المسلم .

المشكلة الاقتصادية فى الإسلام وحلولها

تتمثل المشكلة الاقتصادية فى نظر الرأسمالية الندرة بمعنى عدم قدرة الموارد الطبيعية عن تلبيـــة احتياجات الانســـان المتجددة .

وتتمثل فى الماركسية فى التناقض بين قـــوى الانتـــاج وعلاقات التوزيع .

اما فى الاسلام :

فيقول الله تعالى « **الله الذى خلق السـموات والارض ـ وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ـ وسخر لكم الفلك فى البحر بامره ـ وسخر لكم الانهار ـ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ـ وسخر لكم الليل والنهار ـ وآتكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانســـان لظلوم كفار** » .

وتلك الآيات الكريمة تقرر فى وضوح : ـ

١ ـ ان الله تعالى قد خـــلق للبشرية من الثروات الطبيعية ما يلبى احتياجاتها جميعا دون قصورا ونفاذ .

٢ ـ ان المشلكة تكمـن فى الانســـان ذاته بســـبب انه ظلوم كفار : ـ

أ – كفار بعـدم اسـتخدامه الثروات الطبيعية وعـدم استثمارها بشكل علمى ٠

ب – ظلوم بعدم ممارسته عدالة التوزيع ٠

ولكن كيف عالج الاسلام هاتين القضيتين الاساسيتين وهى الانتاج والتوزيع ؟

أ ـ الانتــاج :

يدعو الاسلام الى التنمية الاقتصادية بالتحريض على ذلك عقائديا وفكريا وتشريعيا ٠

– الانتاج فى الاسلام يخضع لمبدأ الاشراف المركزى ٠

– للدولة دور قيادى فى التنمية الاقتصادية ٠

– الانتاج يهدف الى اشباع جميع حاجات الافراد ٠

– يرفض الاسلام انتاج المواد الكمالية أو النصف ضرورية الا بعد استكمال انتاج المواد الضرورية تماما ٠

– يرفض المجتمع الاسلامى انتـاج أدوات الترف والمجـون رفضا تاما ٠

ب ـ التــوزيع :

العمل والحاجة هما اساسا التوزيع فى الاسلام ، ولقد نظم الاسلام التوزيع بشكل يضمن منع وقوع الظلم والاستغلال ولم يسمح بالتملك الا بالعمل الاستثمارى غير الاحتكارى ، ومنع

الاسلام التملك عن طريق الحيازة فى الثروات الطبيعية كما منع التملك فى تلك الثروات عن طريق العمل المأجور .

يلاحظ ان الحاجة تدخل فى التوزيع لعدم قدرة بعض البشر اصلا على العمل كالعاجزين مثلا ، كما ان بعض الناس ينتجون أقل مما يحتاجون بسبب ضعفهم ، وقد جعل الاسلام لهؤلاء وأولئك الحق فى اشباع حاجاتهم . وضمن لهم نصيبا من الثروة .

حقوق الفرد فى المجتمع الإسلامى

١ - حق الحياة ٠

٢ - حق الكرامة ٠

٣ - حق الحرية (حرية العقيدة - حرية ابداء الرأى - حق النشر) ٠

٤ - حق العمل لكل قادر ٠

٥ - حق التعليم والعلاج المجانى ٠

٦ - حق كل مواطن (ذميا كان أو مسلما) فى المأكل والمسكن والمواصلات ٠

٧ - حق كل مواطن فى الزواج وتكوين اسرة ٠

وما يمس بحثنا فى هذا الشأن هو الحقوق المرتبطة بالاوضاع الاقتصادية رغم ايماننا بعدم انفصال تلك الامور عن بعضها ٠ والسؤال الآن كيف تستطيع الحكومة الاسلامية تحقيق ذلك ؟؟

اذا قررنا ان المجتمعات البشرية لم تشهد الفقر والظلم الاجتماعى بسبب قلة الموارد ولكن بسبب سوء توزيعها فان الامر يبدو واضحا ان الفقر المدقع لا يوجد الا بسبب الغنى المترف ٠ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ما جاع فقير الا بما شبع غنى** » ٠

ويقول الامام على كرم الله وجهه « **ما رايت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع** » ٠

كيف قضى الإسلام على الفقر والاستغلال

مقولة ان الفقر ينشأ من قلة الموارد مرفوضه اسـلاميا بسبب كثرة الموارد التى اتاحها الله سبحانه للبشر .

والفقر ينشأ اما من عدم الاهتمام بالتنمية أو عن سـوء التوزيع ، وبالنسبة للامر الاول فالاسلام يحث على التنمية كما تقدم شرحه وعلى هذا يبقى أمر واحد وهو استئثار قلة بالموارد وحرمان الاغلبية الساحقة ، أو ما يعبر عنه رجال الاقتصـاد بالاستغلال الاقتصادى والذى ينشأه :

أ – ممارسة البعض لامور غير منتجه مما يشكل عبئا عـلى المجتمع كممارسة (الدعارة – والقمار) وغيرهما ممـا حرمه الاسلام .

ب – ممارسة البعض لعمليات التهريب والرشوة والاتجار بقوت الشعب واحتكار المواد الضرورية وهى أمور يعاقب عليها الاسلام ويتوعد من يفعلها .

ج – اثراء البعض عن طريق الربا وهو محرم اسلاميا .

د – احتكار البعض للثروات الطبيعية وهو محـرم شرعا فان هذه الثروات الطبيعية اما مملوكه ملكية عامة أو مملوكة للدولة أو مباحه اباحة عامة للجماهير ولا يصح فيها أخذ الفرد لأكثر من حاجته الشخصية فقط .

ان للامام صلاحيات ضخمة بشأن اتباع الاسـلوب

الامثل لاستغلال تلك الثروات بما يحقق مصـــالح الامة (عن طريق القطاع العام مثلا) ٠

هـ - ممارسة البعض لاساليب الانتـاج الرأســمالى وبالتـــالى امتصاص فائض قيمة العمل المأجور لصالحهم ٠

والاسلام يرفض تملك الثروات الطبيعية عن طريق العمل المأجور ٠

ويرفض الوكالة والاستثمار فى استغلال الغـابات مثلا ٠

ويرفض الوكالة والاستثمار فى استغلال المعادن ٠

ومن هنا لم يترك الاسلام أمام الفرد الا العمل المباشر كشرط للتملك وبالتالى فان الامة الاسلامية ليس امامهـــا لاستغلال الثروات الطبيعية الا أسلوب القطاع العام طالما ان القطاع الخاص يقوم على العمل المأجور المرفوض كمـــا سبق ان أوضحنا ٠

و - لم يبق أمام الفرد لممارسة الملكية الخاصة الا العمل المباشر الذى يقوم به بنفسه - وهذا بالطبع محدود بالنسبة لاثره على التوازن الاجتماعى ومع هذا رتب الاسلام على ذلك ظروفا وشروطا تمنع من خروجه عن الحدود المرسومة له بل وخول الامام حق تأميم أى ملكيـــة اذا بدأت تمارس اخلالا بالتوازن الاجتماعى ٠

من هذا يتضح ان الاسلام قطـع الطـــريق تمـــامـا على الاستغلال وبالتالى لن يوجد فقر (لكثرة الموارد وعدم وجـــود استغلال) أضف الى ذلك تشريعات العدالة الاجتماعية تحصل على منهج فذ فى تحقيق الحقوق المشار اليها سابقا وخـــروج المجتمع السعيد الى عالم الوجود .

العدالة الاجتماعية فى الاسلام

الحديث عن العدالة الاجتماعية فى الاسلام يعنى اساسا ممارسة الدولة الاسلامية لدورها فى تحقيق الرخاء لكل مواطن واعطاءه الحق كما سبق فى التعليم المجانى والعلاج المجـــانى وأن تكفل له الدولة المأكل والملبس والمسكن والمواصلات كما سبق توضيحه . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ممارسة صلاحيتها بشأن منع الاستغلال وتحقيق التوازن الاجتماعى · وعلى هـذا فانه وبالاضافة الى ما تقدم فاننا بصدد بحث : ـ

١ ـ التوازن الاجتماعى ·

٢ ـ الضمان الاجتماعى ·

١ ـ التوازن الاجتماعى : ـ

فى مفهـــوم الاســـلام (الا يكون المـــال دولـــة بين الاغنياء)وهو عدالة توزيع الثروة ـوهو تضييق الفـــوارق بين طبقات الناس ـ هو ان نجعل الفرق بين أكثر النـــاس غنى وأقلهم غنى (وليس أفقرهم فليس فى المجتمع المسلم فقير) فرقاً فى الدرجة وليس تفاوتا رهيبا كما نرى ونلمس فى سائر الانظمة الاقتصادية المعاصرة · والدولة تحقق ذلك عن طريق : ـ

أ ـ فرض ضرائب ثابتة تؤخذ بصورة مستمرة وينفق منهـــا لتحقيق ورعاية التوازن العام ·

ب - ايجاد قطاع لملكية الدولة وتوجيه الدولة لاستثمارها لاغراض التوازن .

ج - طبيعة التشريع الاسلامى الذى ينظم الحياة الاقتصادية فى مختلف الاحوال .

والحكومة الاسلامية ملتزمه فى هذا الاطار بضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الاسراف وبضغط مستوى المعيشة من أسفل بالارتفاع بمستوى الافراد . فتعميم الغنى هو الهدف الذى تضعه النصوص أمام أولى الامر ، على أن مفهوم الاسلام للغنى ليس تلبية للحاجات الضرورية فقط بل ان يملك الانسان ما يأكل ويلبس ويتزوج ويحج ويتصدق أيضا . فالفقير فى نظر الاسلام هو من لم يظفر بمستوى من المعيشة يمكنه من اشباع حاجاته الضرورية والكمالية بالقدر الذى تسمح به حدود الثروة فى البلاد وبقدر ما يتسع مستوى المعيشة يتسع المدلول الواقعى للفقر فاذا اعتاد الناس مثلا استقلال كل عائلة بدار أصبح حرمان عائلة من دار مستقلة مملوكة لهم لونا من الفقر (أى ان الاسلام لم يعط مفهوما ثابتا للفقر) وعلى هذا فالتوازن يعنى اغناء كل فرد (مسلما كان أم ذميا) بالقدر الذى يتناسب وامكانيات المجتمع فى ذلك الوقت .

٢ - الضمان الاجتماعى : -

هو ضمان الامة لتلبية حاجات جميع أفرادها حتى تشيع بينهم الطمأنينة فيندفعوا الى الانتاج غير عابئين بالنتائج ما دامت حاجاتهم مكفولة أصلا من قبل المجتمع ويعتمد ذلك الضمان على :

أ - التكافل العام ـ فالمسلم أخو المسلم وكفالته واجبه عليـــه وعلى الامام اجبار المســـلمين على ذلك اذا لم يحققوها بأنفسهم،ومن هنا فانعلى المسلمين الا يظهر بينهم محتاج والا أثموا جميعا وأصبح على الامام ارغامهم على دفـــع غائلة الحاجة عن ذلك المحتاج ٠

ب - حق الجماعة فى موارد الثروه وحيث ان الثروه أصـــلا استخلاف من الله للجماعة فان حق كل فرد فى الجمـــاعة فى كفالة حاجته مصونة اسلاميا وعلى الامام:

١ ـ ان يوفر العمل لكل قادر ٠

٢ ـ ان يكفل المحتاج بالشكل الذى يغنيه وطبقـا لمفهوم الاسلام عن الغنى ٠

والسؤال الآن ـ فرضا ـ اذا لم تكف تلك النظم لدفع غائلة الحاجة بسبب القحط أو المجاعة أو غيرها من الاسباب ٠٠؟؟

الجواب يتمثل فى دراسة نموذج عمر بن الخطـــاب فى مواجهة عام الرمادة وهو ما يلخصه القول (اذا جاع المسلمون فلا مال لأحد) ٠

ملكية الأرض فى الإسلام

حين ينظر الى الارض فى وضعها العام فان الاسلام يطبق عليها بوجه عام مبدأ ملكية الدولة وهى ملكيـــة ذات طابع عام كما يقول الاستاذ محمد باقر الصدر فى كتابه القيم « اقتصادنا » وكذلك الاستاذ محمود أبو السعود فى كتابه « خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى » وقد قسم فقهـاء المسـلمين الارض الى أنواع تختلف باختلاف ظروف دخولها الاسلام وظروف احيائها والعمل على زراعتها ومنها على سبيل المثال : ـ

١ ـ الارض التى أصبحت اسلامية بالفتح عن طريق الكفـــاح المسلح ٠

٢ ـ الاراضي المسلمة بالدعوة ٠

٣ ـ أراضي الصلح ٠

ولكل نوع من هذه الاراضي أشكال للاستغلال وحقوق خاصة فى اطار ملكيتها للدولة المسلمة ٠

وفى هذا الصدد فانه وبالنظر الى موضوع بحثنا وهو دور الحركة الاسلامية فى تصفية الاقطاع فى مصر فان علينا ان نحدد الى أى الانواع تنتمى الأراضي الزراعية فى مصر ٠

وبما أن مصر دخلت الاسلام عن طريق الجهاد المسلح فان أرضها تنتمى الى النوع الأول ، والآن علينا أن ندرس ذلك النوع وهو يحتوى على :

أ - **أراضي عامرة بشريا** (أى أنها كانت تزرع قبل الفتح) وهى ما يطلق عليها أراضي خراجية (١)

ب - **موات** : - وبديهى انها بالنسبة لوضع مصر اذا تم احياؤها فان ذلك الاحياء سيكون بمياه النيل - أى أنها محياه بماء خراج لأن مياه النيل مياه خراجية (أى أنها أرض خراجية أيضـــا .

ج - **أرض عامرة** طبيعيا كالغابات مثلا وهى من الانفــال فهى لله ورسوله أى ملكية دولة وهى نادرة بمصر وبالتالى فانه وبالنظر الى الموضــوع فاننـــا سنقتصر فى البحث على الأراضي الخراجية .

والأراضي الخراجية كما تم تعريفهــا هى كل أرض تروى بماء الخراج مثل أرض مصر وسوريا والعراق وايران وغيرها ...

ولكن ما حكم هذه الأراضي فى الاسلام :

فى تاريخ الفتوح الاسلامية أن الخليفــة الثـــانى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طولب بتقسيم الأراضي المفتوحة بين المحاربين من الجيش الاسلامى على أساس مبدأ الملكية الخاصة

---

١ - الأراضي الخراجية هى الأراضي التى يفرض عليها خراج وهى كمـــا يقول الماوردى عن أبى حنيفه وأبى يوسف (كل أرض عامرة بشريا حال الفتح المسلح أو كل أرض موات تم احياؤها بماء الخراج ويقصد بماء الخراج ماء الانهار المفتوحة كدجله والفرات والنيل) .

استشار الصحابة رضوان الله عليهم فاشار عليه على كرم الله وجهه بعدم التقسيم وقال له معاذ بن جبل (انك ان قسمتها صار الريع العظيم فى ايدى القوم ثم يبيدون فيصير ذلك الى الرجل الواحد أو المرأة الواحدة ثم يأتى بعدهم قوم يسددون من الاسلام سدادهم لا يجدون شيئا فانظر أمرا يسع أولهم وآخرهم فقضي عمر بتطبيق مبدأ الملكية العامة وكتب الى سعد بن أبى وقاص ٠

(أما بعد فقد بلغنى كتابك أن الناس قد سألوا ان تقسم بينهم غنائمهم وما افاء الله عليهم فانظر ما اجلبوا به عليك فى العسكر من كراع أو مال فقسمه بينهم واترك الارضين والانهار لعمالها ليكون ذلك فى اعطيات المسلمين فانا لو قسمناها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء) ٠

وتلك الحادثة تدل على :

أ - ان الأراضي الخراجية اما ملكية عامة للمسلمين وكذلك خراجها ٠

ب - أوانها ملكية لأهلها السابقين وخراجها ملكية عامة للمسلمين ٠

ولكى يتضح أى الأمرين قصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه نورد تلك الحادثة التى جاءت فى كتاب الاموال لأبى عبيدة من ان عقبة بن فرقر اشترى أرضا على شاطىء الفرات ليتخذ فيها قضبا فذكر ذلك لعمر فقال ممن اشتريتها ؟ قال من اربابها فلما اجتمع المهاجرون والانصار عند عمر قال « هؤلاء هم أهلها

فهل اشتريت منهم شيئا ؟ قال لا قال فارددها على من اشتريتها منه وخذ مالك •

ومن الواضح بعد ذلك أن أرض الخراج مملوكة للمسلمين جميعا وكذلك خراجها وليس الامـــر كما قد يتبـــادر للبعض تأميم للخراج فقط • وفى البخـــارى عن عبد الله قال (أعطى النبى خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها) وهذا الحديث يشع بتطبيق الرسول عليه الصلاة والسلام لمبدأ الملكية العامة على أساس انه لم يقسم خـــراج أرض خيبر على المحاربين بل جعل تلك الأراضي وقفا على المسلمين ينفــق منها على أمورهم العامة والخاصة بصفته القيـــادية ويلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم اشرك فى الاستفادة من خراج أرض خيبر بعض المسلمين من غير المشتركين فى نقال خيبر • ممـــا سبق يتضح أن الأراضي الخراجية تخضع للملكية العامة للمسلمين لمن هو اليوم مسلم ولمن يدخل الاسلام بعد اليوم ولمن لم يخلق بعد من المسلمين •

يقول الامام مالك ولا تقسم أرض الخراج وتكون وقفـــا يصرف خراجها فى مصالح المسلمين من ارزاق المقاتلة وبنـــاء القناطر والمساجد وغير ذلك من سبل الخير •

ويلاحظ أن الأراضي الخراجية لا يجوز للامام اخراجها عن كونها خراجية ببيع رقعتها أوزهتها •

لا يجوز توريثها أو بيعها من قبل العاملين فيها لأنها ليست ملكا لهم كما أن ذلك الحق لا يملكه الامام أيضا •

اذا أهملت الآراضي الخراجية وتعرضت للخراب فان ذلك لا يخرجها عن كونها خراجية واذا قام أى شخص باحيائها فان ذلك لا يرتب أى حقوق تجاهها وتظل كما هى ملكيـــة عامـة للمسلمين .

ملاحظـــات :

حيث أن الآراضى فى مصــر كلهــا خراجية وبناء على ما تقدم فان ملكية فرد لها غير مشروعة للاسباب الآتية

أ - ان كان الفرد قد تملكها نتيجة احيائها واصلاحها فانه وبناء على ما تقدم لا يصح تملك الآراضي الخراجيـة حتى ولو خربت وقام فرد بأحيائها .

ب - ان كان الفرد قد نالها عن طريق حاكم فانه بناء على ما تقدم لايحق للامام ان يهبها أو يبيعها فضلا عن الحـــاكم غير الشرعى .

ج - ان كان الفرد قد ورثها فقد علمنا انها لا تورث وبديهى أن التوريث لا يحل الحرام .

د - ان كان قد اشتراها فممن اشتراها ؟ وهى ملكيـــة عامة للمسلمين بما فيهم من يدخل فى الاسلام بعد اليوم ومن لم يولد بعد ونحيله الى قصة عمر بن الخطاب مع عقبـــة ابن فرقد .

تطور الملكية الزراعية فى مصر

من الناحية العامة ، كانت ملكيـــة الارض تخضــع لذلك التعميم الذى يتضح منه ان الحاكم هو مالك الارض ولم يشـذ نظام الملكية هذا كثيرا عن هذه القاعدة منـــذ أيام الفراعنـــة والرومان وقد جاء الاسلام ليعلن ملكية الامة لرقبة الارض ملكية عامة كما اتضح فى فصل ملكية الارض فى الاسلام ــ وأصبحت الأرض فى واقعها لمن يزرعها ولم يشهد المجتمع المصرى الملكية الثابتة المتوارثة الا بعد صدور اللائحة السعيدية ، ولا ينفى هذا انه قبل صدور هذه اللائحة لم تكن هناك ملكية فردية ثابتة فقد كانت هناك فعلا بعض صور الملكية الفردية المؤقتة ولكنها كانت ما تلبث أن تزول لأنها كانت شذوذا على القاعدة ولم تكن ذات اطار قانونى أو شرعى (١) ٠

وعلى هذا الاساس نستطيع ان نميز ثلاث مراحل اساسية مرت بها الملكية الزراعية فى مصر وهى فترة ما قبل الاسلام ــ وفترة الحكم الاسلامى حتى حكم محمد على ــ وفترة ما بعــد حكم محمد على ٠

أولا ــ فترة ما قبل الاسلام :

أ ــ الدولة الفرعونية القديمة :

من ناحية المبدأ كان الملك هو المالك الوحيد للأرض (٢)

---

١ ــ الصراع الطبقى فى القرية المصرية ــ دكتور عبد الباسط عبد المعطى ــ دار الثقافة الجديدة ٠

٢ ــ جان يوبورت ــ مصر الفرعونية ــ ترجمة سعد زهــران ــ مسلسلة الف كتاب رقم (٦٠١) ٠

وكان الملك يعين بعض الافراد للاشراف على الأراضي وجمـــع الضرائب وقد استمر هــذا الوضـــع حتى الاسرتين الرابعـــة والخامسة ، ولكن نظرا لضعف السلطة المركزية وتراكم نفـــوذ الامراء في نهاية الاسرة الخامسة لجأ الامراء الى محاولة بسط نفوذهم الفعلى على الأرض والاتجاه نحـو تملكهـــا وتوريث بعضها (٣) .

وبظهور الاسرة السادسة قامت الثـورة بتحريض صـــغار الموظفين من الشعب ، وقد قام الامراء بالاستفادة من هذه الثورة وبلورة وضعهم الطبقى الى حد كبير فقد اصبحوا يقومون فعلا بكافة سلطات الملك فى الاقاليم ولم يعد الامـــراء يؤرخـــون حولياتهم وفقا للحوليات الحكومية وانما وفقا لحوليات أسرهم الاقليمية وأخذوا يستغلون المناجم والمحاجر لحسابهم الخـــاص ويتولون فى نفس الوقت ادارة شئون المعابد المحلية (٤) .

ب ـ الدولة الوسطى :

ويطلق على الدولة الوسطى اسم العصر شبه الاقطـــاعى

---

٣ ـ الكسندر شارف ـ تاريخ مصر منذ فجر التاريخ حتى انشاء الاسكندرية ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر مسلسلة الالف كتاب رقم (٢٥٢) .

٤ ـ جان يوبورت المرجع السابق .

ملاحظـــة :

حاول بعض الأمراء فى العصر الفرعونى ان يستقلوا بملكياتهم الفردية الا أن ذلك ما كان يلبث الا أن يزول بظهور فرعون قوى وعلى أى حال لم **تشهد مصر ملكية شبيهة بملكية الاقطاع فى أوربا فى العصور الوسطى .**

المصرى ويقصد بهذه التسمية ان البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى كان شبيها لبناء المجتمع فى أوربا الاقطاعية فى العصور الوسطى وكان الملك على رأس الدولة وسيظل من الوجهة النظرية مصدر السلطات جميعا فهو مالك الأرض والكاهن الاكبر والمشرع للقوانين دون غيره وكان يليه فى المنزلة امراء الاقاليم يستمدون منه حقهم فى امتلاك الأرض ويحافظون على ماجنوه نتيجة للثورة الاولى (٥) ٠

الا اننا نلاحظ مع ذلك فروقا جوهرية بين النظام الاقطاعى الاوربى والاقطاع الذى ساد فى تلك الفترة رغم وجود سمات مشتركة ٠

١ - فمحاولة الامراء فرض نفوذهم على الأرض والاتجاه بها نحو نوع من التوريث وممارسة تشريعاتهم داخل حدودها لم يكن يرجع الى أن ذلك أصبح حقا قانونيا لهم كما كان فى أوربا بقدر ما كان تمردا على السلطة المركزية ٠

٢- انه للملك(ولو من الوجهة النظرية)عزل الامراء وتعيين آخرين محلهم ٠

٣ - ان التوريث فى تلك الاراضي قد مورس فى نطاق ضيق جدا ولم يكتسب يوما شرعية قانونية بعكس أوربا ٠

---

٥ - ابريك بيت - الحياة فى مصر فى الدولة الوسطى - ترجمة ابراهيم الدسوقى ٠

جـ - الدولة الحديثة :

استمرت الدولة الحديثة من الاسرة الرابعة عشرة وحتى الرابعة والعشرين تقريبا (١) وقد ظهرت طبقة جديدة من ملاك الأراضي الى جانب الامراء وهى طبقة رجال الدين وقد أصبحت تلك الطبقة أكبر مالكة للأرض ووسائل الانتاج فى الدولة الحديثة ولقد حاول اخناتون أن يقوم بثورة اصـــلاحية جـاءت ببعض المبادىء الاخلاقية الا أن وقوف الامراء ورجال الدين فى وجهه حال دون نجاح الثورة ٠

جدول يوضح أملاك المعابد (٢)

المعبـــد / الممتلكات	طيبـــه	هليوبوليس	ممفيس
بشر	٨١٣٢٢	١٢٩٦٣	٣٠٧٩
ماشية	٤٢١٣٦٢	٤٥٥٤٤	١٠٠٤٧
حدائق	٢٣٣	٦٤	٥
سـفن	٨٣	٣	٢
أراضي زراعية	٢٣٩٣ كم مربع	٤٤١ كم مربع	٢٨ كم مربع
مخازن	٤٦	٥٥	—
قـرى	٦٥	١٠٣	١

---

١ - د٠ حسين فوزى سندباد مصرى - دار المعارف - ١٩٦٠ ٠
٢ - أودلف ، هير مان رانكه - مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ترجمة عبد المنعم أبو بكر وآخرين دار النهضة المصرية ٠

د ـ مصر تحت حكم الفرس والرومان :

لم يتغير شكل الملكية كثيرا وظل الظلم الاجتماعى على ما هو عليه وبدلا من ان يمارسه الملك والامراء ورجال الدين مارسه المستعمر وجنوده بصور شتى ٠

يتضح مما سبق أن مصر الفرعونية شهدت صورا شتى من أشكال الظلم الاجتماعى مارسها الملك والأمراء والكهـــان ، وان الشعب المصرى لم يأخذ يوما حقه فى الحياة الحرة الكريمة ولم ينل حقا من حقوقه السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية٠ على أن مصر وبرغم ظهور أشكال شتى من الاستغلال الاقتصادى لم تشهد نظاما اقطاعيا شبيها بالنظام الاقطاعى الاوربى وان كانت قد اقتربت منه فى الدولة الوسطى ولكن بقيت هنـــاك فروق جوهرية كما سبق ايضاحه ٠

مصر فى عهد الفتح الإسلامى

دخل الاسلام مصر ليعلن ولاول مرة فى التاريخ « المساواة الانسانية الشاملة » وانه لا فرق بين بنى البشر وان اكرمكم عند الله اتقاكم . جاء الاسلام ليحطم النظام الكهنوتى الذى يمتص دماء الفلاحين باسم الدين . جاء ليخلص الفلاحين من عسف الامراء والكهنة . جاء ليعلن المساواة فى كافة الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، جاء ليرفض كل أنواع الاستبداد السياسي ويعلن حق كل مواطن فى ابداء رأيه والتظلم من حاكمه وليس بخاف علينا قصة ذلك المصرى الذى اعطاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق القصاص من عمرو بن العاص أمير مصر فى ذلك الوقت .

باختصار جاء الاسلام الى مصر لينسف كل أشكال الاستغلال ويخرج العباد من عبادة العباد والاوثان الى عبادة الله الواحد القهار . وطبقا لهذا المستوى الرفيع كان منهج الاسلام بالنسبة للارض والفلاح فى مصر . جاء فى كتاب الخراج لابى يوسف والاموال لأبى عبيد (انه لما فتحت الامصار فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه استقر رأى الصحابة على أن تبقى الارض فى أيدى الفلاحين وقسمت من جديد وقدرت عليها ضريبة الخراج وكان اساس التقدير ان تقدر عليها غلتها المعتادة ثم يترك الفلاحين ما يحتاجون اليه من منفعة لهم ولعيالهم ولمن تلزمهم للسنة كلها مع زيادة يدخرونها ثم يقدر خراج الارض على ما بقى بعد

ذلك (١) . ولأول مرة فى التاريخ يشعر الفلاح المصرى بكرامته فيتفانى فى خدمة أرضه الذى أصبح يشعر بالانتماء اليها لأول مرة فى تاريخه فيزيد الانتاج اضعافا فى ذلك العهد .

ولقد قام المسلمون ببناء المدن مثل الفسطاط - وتنظيم الرى - والحكم بالعدل بين أهل البلاد حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا ولقد ظل الحال على هذا النحو أى الارض لمن يزرعها فى اطار ملكية الامة لرقبة الارض حتى عهد محمد على ولكن لنا ملاحظات .

انه برغم منهج الاسلام الرفيع بشأن الارض وممارسة المسلمين الاوائل لنوع متقدم جدا من السياسة الزراعية الا أن ذلك المنهج حدث به بعض التجاوزات فى الممارسة فى فترات معينة الا أنه من المؤكد ان تلك التجاوزات كانت شذوذا على القاعدة ولم تأخذ شكلا قانونيا . وبديهى ان تلك التجاوزات قد حدثت نتيجة وصول السلطة الى حكام ليسوا على مستوى الاسلام .

١ - انظر فصل ملكية الارض فى الاسلام .

١ ملكية الارض فى عهد محمد على ومابعده

بعد تولى محمد على الحكم ألغى نظام الالتزام سنة ١٨٠٨ ومسح الارض وقسمها وعين الحدود الفاصلة بين القرى وقسمت الاراضي لاحواض ووزعت الارض كالاتى (١) :

١ ـ أراضي الابعاديات والجفالك ـ وهى أراضي أسرة محمد على وكبار الحاشية وقد اعفاها جميعا من الضرائب ، ويضاف الى هذه الابعاديات الاراضي التى منحها لاعيان الدولة ورجال الجيش وكبار الموظفين وأعفيت كلها كذلك من الضرائب بلغت (٢٠٠) ألف فدان .

٢ ـ أراضي الوسايا ـ وهى الأراضي التى أعطيت للملتزمين السابقين وبلغت (١٠٠) ألف فدان .

٣ ـ أراضي المشايخ ـ وكانت تسمى (مسوح المشايخ والمصاطب) وبلغت (١٥٤) ألف فدان .

٤ ـ أراضي الرزمة ـ معفاه من الضرائب وكانت تمنح للمعلمين والمهندسين والخبراء الزراعيين والعسكريين الاجانب وبلغت (٦) آلاف فدان .

٥ ـ أراضي الأثر وهى التى تبقت للفلاح وكانت ملكية الفلاح من ٣ ـ ٥ أفدنة .

---

١ ـ ابراهيم عامر المرجع السابق .

٦ - أراضي العربان - وهى الواقعة على حافات الجبال ٠

ويلاحظ هنا تمسك محمد على بحق التصرف وتحـــريم بيعها أو توارثها ولم يكن يسمح الا بالانتفاع بها فقط ٠

فى عهد عباس وسعيد :

صدرت فى عهد عباس الاول لائحة سنة ١٨٤٦ وهى أول لائحة تبيح حرية التعامل فى الارض التى يزرعها الفلاحـــون واعترفت بملكية محدوده ثم جاءت اللائحة الســـعيدية ســـنة ١٨٥٨ التى أقرت لمستغل الارض أحقيتـه فى تأجيرها لمـــدة لا تزيد عن ثلاث سنوات وله ان يرهنهـــا أو يبيع حقـــه فى استغلالها للغير وأكد حق توريث المنشآت التى عليها وحـــق التعويض بأرض أخرى لمن نزعت عنه أرضه (٢) ٠

ولأول مرة يجعل الخديوى سعيد الارض عرضا من أعراض حقوق الملكية الفردية ٠

يلاحظ انسلاخ مصر بشكل أو بآخر عن الخلافة العثمانية الاسلامية وممارستها لنوع من الاستقلال فى عهد محمـــد على وما بعده وبالتالى بداية سيرها فى اتجاه غير اسلامى ٠

فى سنة ١٨٩١ حذف من القانون المدنى الاهلى شرط دفع المقايضة وأصبح يمنح للمنتفعين بالارض حق الملكية التامة دون قيد أو شرط - بداية الرأسمالية الزراعية ٠

---

٢ - عبد الرازق الهلالى - قصة الارض والفلاح - والاصلاح الزراعى فى الوطن العربى ٠

ويلاحظ وقوع مصر تحت الاحتلال الانجليزى فى سنة ١٨٨٢ ونستطيع أن نؤكد ان بداية ظهور الملكية الفردية المستغلة فى الاراضي الزراعية كان نتيجة حتمية للاستعمار لارتباط مصالحه بتشكيل رأسمالية زراعية يستند اليها فى حكمه - مع ملاحظة أن ذلك يرجع أيضا الى سيادة القانون الاجنبى لأن التشريع الاسلامى لم يعرف ذلك الشكل المطلق من الملكية بالنسبة للاراضي الزراعية فقط .

ولقد سارت الملكية الزراعية نحو التركيز حتى انه فى سنة ١٩١٤ كان :

١ - ٩١ر٧ ٪ من ملاك الأراضي يملكون ٢٦ر١ ٪ من الارض .
٢ - ٧٥ ٪ من ملاك الأراضي يملكون ٣٠ ٪ من الارض .
٣ - ٨ر ٪ من ملاك الأراضي يملكون ٤٣ر٩٪ من الارض (١)

وبذلك بدأت تتضح معالم رأسمالية زراعية مصرية بدأت تلعب دورا كبيرا فى تشكيل الحياة السياسية والاجتماعية المصرية فى تلك الفترة (٢) .

يلاحظ أن كبار الملاك كانوا قيادات لنظم الاحزاب ما عدا الحزب الوطنى الذى اسسه مصطفى كامل وجماعة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة وبعض التنظيمات الهامشية الاخرى .

---

١ - ابراهيم عامر - المرجع السابق .
٢ - نطلق عليها رأسمالية زراعية وليست اقطاعا لاستخدامها العمل المأجور وليس السخرة كما انها لا تملك سمات الاقطاع الرئيسية .

ولقد لعبت الرأسمالية الزراعية دورا كبيرا فى الحياة السياسية لمصر قبل سنة ١٩٥٢ فلقد :

١ - شكلت تحالفا مع الانجليز فى مواجهة القوى الشعبية التى بدأت تأخذ دورا واضحا فى الحياة السياسية وبدأت تستلهم الاسلام بشكل أو بآخر فى مواجهة الاستعمار والملك وطبقة الرأسمالية الزراعية .

٢ - انها بدأت تشكل فقدان توازن اجتماعى خطير .

٣ - بدأت تمارس نوعا من الترف المرفوض من القواعد الاسلامية ولقد كان من الطبيعى ان تصطدم تلك الطبقة بالحركة الاسلامية النامية لانها تمثل خطا معارضا تماما لها . فالحركة الاسلامية كانت تهدف الى القضاء على الاستعمار المتحالف مع هذه الطبقة كما كانت تهدف الى القضاء على كافة أشكال الاستغلال الاقتصادى والمطالبة بالمبدأ الاسلامى (الارض لمن يزرعها فى اطار ملكية الامة لرقبة الارض) وقد اصطدمت الحركة الاسلامية أيضا مع تلك الطبقة على المستوى الاخلاقى ، فقد كانت تلك الطبقة تمارس شكلا من الترف واللاخلاقية التى يرفضها الاسلام تماما (٣) .

---

٣ - سيتم شرح ذلك تفصيليا فى فصل دور الحركة الاسلامية فى تصفية الرأسمالية الزراعية .

نتائج تلك الدراسة :

نخرج من هذا الفصل بالحقائق التالية :

١ - ان تطبيق الاسلام لم يظهر أى شكل من أشكال الاستغلال الاقتصادى ٠

٢ - أنه بمجرد تخلى مصر عن هويتها الاسلامية بدأت تظهرفيها العيوب الاجتماعية مثل الرأسمالية الزراعية المستغلة ٠

٣ - أن الرأسمالية الزراعية لم تظهر الا فى عهد الخـــديوى سعيد ولم تاخذ شكلها القانونى وتتبلور كطبقة مستغله الا بعد صدور القانون المدنى الاهلى سنة١٨٩١ فى عهدالاحتلال وبالتالى نستطيع أن نقرر ان الرأسمالية الزراعية المستغلة جاء بها الاحتلال ليضمن بها حليفا يسانده فى وجوده ٠

٤ - ان كان من الطبيعى أن تصطدم الحركة الاسلامية مع تلك الرأسمالية الزراعية المستغلة لوجود تناقض اســـاسي بين مصلحتيهما ولحرص الحركة الاسلامية على التصدى للاســتغلال بكافة صوره ٠

كيف قضى الاسلام على الاقطاع

فى فصول سابقه بينا مفهوم الاقطاع والفـــرق بينه وبين الرأسمالية الزراعية وأوضحنا أن مصر وغيرهـــا من بلاد الشرق لم تشهد نظاما شبيها بالاقطاع الاوربى ولكنها شهدت فى عصر الاسلام نظاما اسلاميا تقدميا عظيما ـ وفى فترة انهيار الخلافة ووصول السلطة الى أنظمة غير اسلامية وعميلة للغـــرب شـــهدت نظاما رأسماليا بشعا ٠ والآن نحن بصدد مناقشة موقف الاسلام من الاقطاع الاوربى والرأسمالية الزراعية المستغلة ٠ والاسلام يرفض الاقطاع الاوربى والرأسمالية الزراعيـــة كمـــا يرفض كل أشكال الاستغلال ٠

يرفض الاسلام النظام الاقطاعى لهذه الاسباب :

١ ـ النظام الاقطاعى يقوم على نظـــام الســـخرة المرفوضـــة اسلاميا ٠

٢ ـ يقوم على تمايز الناس الى طبقات يجرى فى عروق بعضها الدم الازرق النبيل ، والاسلام يدعوا الى انسانية شـــاملة لا فرق فيها بين انسان وآخر الا بالتقوى فالناس جميعا سواسيه كاسنان المشط ٠

٣ ـ ان النظام الاقطاعى حافل بالظلم الاجتمـــاعى المرفوض اسلاميا كما سبق شرحه ٠

٤ - ان النظام الاقطاعى يعتمد على الجهل وسيادة الخرافات ، والاسلام بما جاء به من علم قام بنسف الخرافات وبالتالى أفقد الاقطاع أساسه النظرى . « يلاحظ حق كل مسلم ومسلمة فى التعليم ، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

٥ - ان الاقطاع يعتمد على الملكية المطلقة للارض وقد نسف الاسلام تلك القاعدة وقرر ان الارض لمن يزرعها فى اطار ملكية الامة لرقبة الارض .

٦ - النظام الاقطاعى يعتمد على اللامركزية واستغلال الامراء لاقطاعياتهم واستقلالهم بها اما الاسلام فقد جاء بنظام مركزى للتخطيط والانتاج معا (وحدة المسلمين تحت راية الخلافة) .

والآن نستطيع ان نقرر ان العالم الاسلامى لم يعرف قط النظام الاقطاعى (١) فكما سبق أن بينا ان الاسلام حينما فتح الامصار كانت الارض اما أراضي خراجية وحكمها كما سبق أن بينا تملك ملكية عامة للمسلمين واما انفالا (ملكية الدولة) ولقد تصرف المسلمون طبقا لتلك القاعدة فى كل البلاد المفتوحة .

---

١ - ان عدم ظهور الاقطاع فى العالم الاسلامى (وكنموذج لذلك مصر) كما أوضحنا تلك الدراسة تثبت عدم صحة التفسير الماركسي للتاريخ الذى يعتبر الاقطاع مرحلة تاريخية حتمية ولو كانت كذلك لظهرت فى العالم الاسلامى .

وبالتالى نستطيع أن نقرر ان الاسلام قد رفض الاقطـــاع تشريعيا وواقعيا ٠

تشريعيا : بما جاء به من نظم ومفاهيم ٠

وواقعيـــا : بما طبقه بالنسبة للاراضي التى دخلت فى الاسلام (٢) ٠

---

٢ ـ قضي الاسلام على الاقطاع عندما دخل الاندلس ٠

الحركة الاسلامية فى مواجهة الرأسمالية الزراعية

لعلنا لا نضيف جديدا اذا قررنا ان الحركة الاسلامية والاسلام قد عرفته البشرية منذ أول يوم فى تاريخها يوم ان تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ولقد ظل مشعل الاسلام يهدى بنوره البشرية الحقبة بعد الحقبة على يد الانبياء من لدن آدم ونوح وابراهيم وموسي وعيسي الى محمد عليهم الصلاة والسلام – وبظهور الرسول الكريم بدأت البشرية عهدا جديدا بانتهاء عهد الرسول وكان على العلماء أو الزعماء المسلمين ان يحملوا الرايه بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام الى العالم وكان عليهم ان ينشروا العلم والنور وان يواجهوا الاستغلال والقهر ٠

– ومن هنا فان الحركة الاسلامية ليست جديدة على الانسانية بل هى ملازمة لها فى كل حقب تاريخها ٠

– على اننا نستطيع أن نميز بين فترتين – فترة ساد فيها الاسلام بنظمه وتشريعاته وهديه – ولقد تصدى للقيادة فى هذه الفترة الطليعة المؤمنة ٠ وفترة أخرى ازيح الاسلام فيها عن الحكم – واستبدلت نظمه بنظم أخرى بشرية قاصرة ٠ ولقد كان على الحركة الاسلامية وطليعتها الواعية أن تتصدى للواقع فى تلك الفترة محاولة تغييره وفق ارادة الله وعلى هدى منه ٠

وبرغم وحدة الحركة الاسلامية منذ آدم وحتى اليوم الا ان ردود افعالها ازاء الواقع لابد ان تتنوع طبقا للظروف –

والواقع الذى تعمل فيه ، ومن هنا فاننا لا نستطيع أن نفصل بين الحركة الاسلامية فى القرون الحديثة والحركة الاسلامية منذ فجر التاريخ ٠

وبالتالى فان القول بان الحركة الاسلامية الحديثة ظهرت كرد فعل لسقوط الخلافة الاسلامية - أو تردى الاخلاق فى المجتمع - أو نتيجة تاخر المسلمين - أو غيرها من الاقوال - خطأ علمى الى حد كبير - فصحيح ان الحركة الاسلامية الحديثة تاخذ فى اعتبارها ذلك كله وتحلله وتستوعبه تماما وتستجيب له - ولكنها ليست بالقطع رد فعل عفوى لتلك الظروف ٠ ان الحركة الاسلامية الحديثة هى دعوة الاسلام فى الحقبة الحالية من التاريخ وليس من العيب ابدا ولا هو خروج عن المنهج ان تدرس الحركة ظروفها الموضوعية المتمثلة فى أحوال المسلمين وبالتالى تطرح تصوراتها للحاضر والمستقبل ٠

ان الحركة الاسلامية الحديثة وانطلاقها من تلك المقولة يمكن ان نطلقها على كل فئة أو جماعة تدعو الى :

١ - وحدة المسلمين فى العالم تحت راية أمام أو خليفة ٠

٢ - محاولة تثقيف المسلمين ونشر العلم بكافة أنواعه الدينية والدنيوية بين المسلمين ٠

٣ - محاربة الاستعمار بكافة صوره وأشكاله ٠

٤ - محاربة الاستغلال والوقوف فى وجه القوى الباغية ٠

٥ - نصرة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ٠

٦- الاهتمام بالجهاد بكافة مدلولاته (**بالكلمة - والقلم - والبندقية**) .

وبناء على ما تقدم فانه وبرغم وحدة الحركة الاسلامية عقائديا وسياسيا وجغرافيا بمعنى انها يجب ان تكون واحدة فى العالم كله الاسلامى وغير الاسلامى وان تكون امتدادا عضويا لكل الانبياء والعلماء على طول التاريخ الا انه نظرا لسقوط الخلافة وفصل العالم الاسلامى بعضه عن بعض وتقسيمه الى دويلات مصطنعه تحت كابوس الاحتلال البغيض فقد تنوعت ردود أفعال الحركة الاسلامية فى كل قطر تبعا لظروف ذلك القطر وان كانت الحركة مطالبة ان تطوع تلك الخصوصية فى ردود الافعال لمفهومه للدعوة الاسلامية ذات الصفة العالمية غير الاقليمية وبشكل لا يضر قضيتها فى الداخل ، واننا وبحكم موضوع بحثنا سنقتصر فى دراستنا على الحركة الاسلامية فى مصر بالقدر الذى يلقى باضوائه على دورها فى تصفية الرأسمالية الزراعية ومقاومتها لها مع تسليمنا بان الحركة الاسلامية فى مصر ليست الا جزءا لا يتجزأ من الحركة الاسلامية فى العالم .

الحركة الاسلامية فى مصر :

ظل الاتجاه الاسلامى يسود مسرح الحياة السياسية والفكرية فى مصر وبلا منازع منذ الفتح الاسلامى حتى قدوم الحملة الفرنسية التى خلفت وراءها بذور الفكرة القومية الاقليمية باكتشاف حجر رشيد وفك رموز اللغة الفرعونية

القديمة(١) - ولقد لعب مجمـــوع الكتـــاب والمثقفين (**غير المسلمين**) مثل أديب اسحاق (**قبطى من الشام**) وزميله سليم نقاش - والصحفى اليهودى ابو نضاره - دورا فى الدعوة الى الفكرة القومية - ولكننا نستطيع أن نؤكد ان الفكرة الاسلامية ظلت هى السائدة وان القومية المصرية لم تكن تمثل تهـديدا خطيرا الا انها قد وجدت من يتصدى لها ويعارضها من الشعب المسلم وزعمائه المسلمين أمثال جمال الدين الافغانى الذى يعتبر رائد الحركة الاســـلامية فى العصر الحديث ولقد دعى السيد جمال الدين الى الوحدة تحت راية الخلافة .

على ان وقوع مصر تحت نير الاحتلال الانجليزى أدى الى اختفاء الفكرة الاسلامية مؤقتا الى أن ظهرت مرة أخرى بشكل أو بآخر وبقوة وبضعف الى أن تلقف الراية الزعيـــم مصطفى كامل رائد حركة مقاومة الاستعمار الانجليزى الذى أعلن أن بناء الخلافة الاسلامية ضرورى للجنس البشرى كما تصـــــدى مصطفى كامل لفكرة الخلافة العربية التى قال بها عبد الرحمن الكواكبى (٢) وأكد مصطفى كامل ارتباطه بالخلافة الاسلامية .

كما تصدى مصطفى كامل للتبشير الذى تزايد نشاطه فى

---

١ - أبو الحسن الندوى - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية - الدار الكويتية .
أحمد عبد الرحيم مصطفى تطور الفكر الســـياسي فى مصر الحديثـــة .

٢ - دعا الكواكبى الى فكرة الخلافة العربية فى كتابيه أم القرى وطبائع الاستبداد .

عهد الاحتلال ولقد سار على نفس المنهج محمد فريد حيث الف كتابا عن (**تاريخ الدولة العلية العثمانية**) وان مصلحة مصر فى الارتباط بها ٠

وكذلك الشيخ عبد العزيز جاويش (**احد قيادات الحزب الوطنى**) والذى كان أكثرهم التزاما بالخط الاسلامى وظـل طوال حياته يدعو للفكرة الاسلامية ٠

ولقد ظهر الشعور الاسلامى واضـــحا ومؤيدا للخـــلافة الاسلامية اثناء الحرب الطرابلسية سنة (١٩١١) بين تركيـا وايطاليا فقد دعت صحف الحـزب الوطنى لجمـــع التبرعات للمجاهدين كما تطوع الكثير من المصريين رغم معارضة الاحتلال وخرجت المظاهرات هاتفة بحياة سلطان تركيا (٣) خليفـــة المسلمين وقد انتهزت صحف الحزب الوطنى هذه الفرصــــة للدعوة الى الجامعة الاسلامية ٠

مما سبق يتضح ان الحركة الاسلامية فى مصر ظلت متقدة ولم تنقطع يوما فهى تبدأ على يد جمال الدين الافغانى وتستمر على يد مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش الا انه وبرغم قوة التيار الاسلامى الذى تمثل فى غالبية الشعب بقيادة زعمائه السابق ذكرهم فقد ظهرت قله خائنة ارتبطت بالاستعمار الانجليزى وطالبت بالقومية المصرية بديلا عن الجامعة الاسلامية

---

٣ ـ محمد محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ـ دار الارشاد بيروت سنة (١٩٧٠) ٠

- حزب الامة وحزب الاحرار ويلاحظ ان معظم أعضائهمـا من طبقة كبار الملاك ولقد تبلوز الاتجاه الاسـلامى فى الحـزب الوطنى ثم فى مراحل لاحقة تاريخيا فى حـركة الاخـوان المسلمين ومصر الفتاة وبالتالى سنقتصر فى بحثنا على هـذه الاحزاب رغم تباين مناهجها ومواقفها السياسية تبعا لاختـلاف تحليلاتها ومراحلها التاريخية ونوعيات زعمائها ٠

وسوف نحدد دور تلك القوى الاسـلامية فى مقـاومة الرأسمالية الزراعية المستغلة استنادا الى النقاط التالية :

١ - ان الرأسمالية الزراعية لم تنشأ الا فى ظل الاحتـلال الانجليزى فلم تأخذ تلك الرأسمالية الزراعية شـكلها القانونى الا بعد صدور القانون الاهلى سنة (١٨٩١) ولقد فتح هذا القانون الملكية الخاصة للاراضي الزراعية بدون قيد أو شرط ٠

ولقد قصد الاحتلال الانجليزى من ذلك أساسا الى خلق طبقة منتفعة بوجوده يستند اليها فى حكمه وبالتالى فان الحركة الاسلامية بطرحها مقاومة الاحتلال الانجليزى فانما هى تقضي على الاساس الاول الذى تستند عليـه الرأسمالية الزراعية المستغلة ٠

٢ - ان الرأسمالية الزراعية المستغلة - كأحد الامور المخالفة للاسلام جملة وتفصيلا تعتمد فى استمرارها على جهـل جماهير المسلمين بأسلامهم وانتشار الامية فى صفوفهم ٠

٣ - ان الرأسـمالية الزراعيـة قد كونت احـزابا ارتبطت

بالاستعمار ونادت بالقومية المصرية كبديل للاسلام . ولقد كان على الحركة الاسلامية أن تعى ذلك كله فى مواجهتها للاستغلال المتمثل فى الرأسمالية الزراعية . كان عليها ان تدرك .

(أ) أن مقاومة الاحتلال هى بحد ذاتها مقاومة لكافة أشكال الاستغلال .

(ب) أن نشر العلوم هو طريقها الى أهدافها .

(جـ) أن فضح الاحزاب التى تنادى بالقومية المصرية هو فى حد ذاته مقاومة للرأسمالية الزراعية التى انشأت تلك الاحزاب للتعبير عنها .

لقد دعت الحركة الاسلامية ذلك كما دعت ..

- ان مقاومة الاستغلال ونصرة المظلومين - فريضة .

- ان الترف الذى تعيش فيه القلة هو سبب انهيار الامة الاسلامية وان عليها ان تتصدى له . وعلى ذلك فان بحثنا للحركات الاسلامية سيتضمن موقفها من الاستعمار ومن أحزاب كبار الملاك وموقفها من الجهل ومحاولة نشر العلم وكذلك موقفها من التشريعات الاقتصادية الظالمة وموقفها أيضا من الترف والمجون الذى تعيش فيه القلة .

الحزب الوطنى (١) :

لم يظهر الحزب الوطنى بشكل نظامى ولائحة ولجنة وادارة الا فى سنة (١٩٠٧) عندما القى مصطفى كامل خطبة سياسية مشهورة فى مسرح زيزيينا بالاسكندرية ودعا فيه الى تكوين الحزب الوطنى واتخذ الجلاء شعارا له حتى كان اصح تعريف لذلك الحزب أنه حزب الجلاء (٢) .

على انه رغم ظهور الحزب بشكله النظامى فى سنة (١٩٠٧) الا انه للحقيقة موجود من قبل متمثلا فى تيار الوطنية الذى قاده مصطفى كامل منذ سنة (١٨٩٠) بخطبه الملتهبة وكتاباته فى الصحف فى مصر وأوربا وكذلك رحلاته المتعددة الى كل بقاع العالم للدعوة الى جلاء الانجليز واستقلال مصر .

ولقد اعتبر الحزب الوطنى ان استقلال مصر هو جزء من البعث الاسلامى الشامل (٣) .

---

١ - الحزب الوطنى فى رأينا - حزب اسلامى على اساس دعوته للخلافة الاسلامية ولقد جمع هذا الحزب وبشكل فذ بين الوطنية والاسلام فى صعيد متناسق وبشكل يخدم الحركة الاسلامية .

وبهذا الصدد فنحن لا نصادر الاراء المخالفة لرأينا ان كان هناك من يرى غير رأينا هذا فى الحزب الوطنى مع ملاحظة اننا نقصد بالحزب الوطنى مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش ومن سار على نهجهم ولا نتحمل مسئولية من خالفهم ولو انتسبوا الى الحزب الوطنى .

٢ - مصطفى كامل - عبد الرحمن الرافعى - مكتبة النهضة .

٣ - زكريا سليمان بيومى ودوره فى الحياة السياسية المصرية سنة (١٩٠٢ ، ١٩٣٢) رسالة ماجستير غير منشورة - آداب عين شمس .

ولقد تمثلت حركة الحزب فيما يلى :

١ - الدعوة الى الخلافة الاسلامية ولقد كان الحزب السياسي(٤) الوحيد الذى دعا وظل يدعو اليها حتى بعد الغائها - ولقد تصدى الحز بالوطنى لتيارى القومية العربية والقومية المصرية ودعا الى الحفاظ على تقاليد الاسلام والتصدى لمواجهة الالحاد والاباحية والدعوة الى سفور المرأة .

٢ - بالنسبة للاحتلال يعد الحزب الوطنى بحق حزب الجلاء فمنذ ايامه الاولى وهو يعمل على جلاء الانجليز وذلك بايقاظ روح العداء للانجليز من قبل المصريين وبرحلات مصطفى كامل ومقالاته وخطبة الملتهبة (٥) ولقد انطلق الحزب الوطنى من مفهوم (**لا مساومة ولا مفاوضة الا بعد الجلاء**) وآمن اعضاؤه انه لا سبيل الى اخراج الانجليز الا القوة مما حدا بهم الى تنظيم تشكيلات عسكرية .

ضم الحزب الوطنى صوته الى صوت جماعة الاخوان المسلمين حيث رفض معاهدة سنة (١٩٣٦) (٦) .

دعا الحزب الوطنى مع الاخوان المسلمين ومصر الفتاة فقط الى (**الجهاد المسلح ضد الانجليز**) .

---

٤ - على اعتبار ان الاخوان المسلمين ومصر الفتاة لم يعتبروا أنفسهم احزابا ولقد دعوا أيضا الى الخلافة الاسلامية .

٥ - زكريا سليمان بيومى المرجع السابق .

٦ - عاصم الدسوقى - مصر فى الحرب العالمية الثانية .

بالنسبة للتعليم :

تعتبر كلمات مصطفى كامل فى افتتاح أول جمعية عمومية اشارة الى موقف الحــزب من التعليم ، وقد قال مصطفى كامل : (فلا نغفل حق التعليم بين سائر الطبقات لحظة واحدة ـ وحزبنا يعمل لنشر التعليم حتى لا يبقى مصرى جاهــل تحت ســـــماء مصر) (٧) ٠

وكان مصطفى كامل يرى ان نشر التعليم هو سبيل القضاء على المستعمر ٠ استحث مصطفى كامل الاغنياء على افتتـــاح المدارس وقد لبى كثير منهم دعوته وقام مصطفى كامل بافتتاح العديد منها ٠

دعا مصطفى كامل الى نشر التعليم الصناعى ٠

أسهم فى انشاء نادى المدارس العليا (٨) الذى أسسه تحت رعاية جمعية رعاية الطفولة ولقد اجتمعت فى قاعات ذلك النادى لجنة انشاء الجامعة المصرية ـ وفيه تأسست مدارس الشعب التى أسهمت فى تعليم العامة وقد قام أعضاء النادى بالتدريس فيها ٠

دعا مصطفى كامل الى انشاء الجامعة الاهلية التى تضــم ابناء الاغنياء والفقراء على السواء ، حمل مصطفى كامل على اللورد كرومر لانه حرم الفقراء من حق التعليم ـ يرى مصطفى كامل ان يكون التعليم مقرونا بالتربية الاسلامية ٠

---

٧ ـ عبد الرحمن الرافعى ـ المرجع السابق ٠

٨ ـ رابطة تجمع الطلبة والخريجين وكان مكانا لالقاء المحاضرات ٠

بالنسبة للاستقلال الاقتصادى :

- دعا مصطفى كامل الى انشاء الصناعات .

- اعتبر مصطفى كامل ان من اسمى برامج الحزب النهوض بمستوى الفلاح واعلاء كلمته فهو من وجهة نظره ممثل النشاط المصرى ومصدر كل خير ونعيم ودعا الى ظهور عهد جديد ينطق فيه التاريخ بأن الفلاح قد القى بأثقال القرون الماضية وصار رجلا حرا .

- طالب محمد فريد بانشاء نقابة للعمال الزراعيين ترعى مصالحهم كما طالب بحمايتهم من استغلال الملاك وحماية المستأجرين من المرابين وانشاء الجمعيات التعاونية الزراعية .

مصر الفتاة (٩) :

تأسست مصر الفتاة سنة (١٩٣٣) تحت قيادة شاب لم يتعد فى ذلك الوقت (٢٢) عاما هو أحمد حسين الذى مهد لنفسه بالاشتراك فى لجنة مشروع القرش .

وتتبلور أفكار الجماعة فيما يلى : ـ

---

٩ ـ نحن نعتبر ان مصر الفتاة احد روافد الحركة الاسلامية باعتبارها قد دعت الى الخلافة الاسلامية وان كان هناك بعض التحفظات فى هذا الصدد ، وعلى كل حال نحن لا نصادر الاراء المخالفة لنا فى هذا الشأن .

١ – الدعوة الى الخلافة الاسلامية واعتبار الوحدة العربيـــة طريقا لها ولقد دعا أحمد حسـين الى تكوين حــزب للخلافة يضم كافة الجماعات الاسلامية .

٢ – طالبت الجماعة بسن تشريع اسلامى أو تشريع لا يتعارض مع الاسلام .

٣ – دعت الجماعة الى الجهاد فى فلسطين .

مصر الفتاة فى مواجهة الاستعمار :

– رفضت مصر الفتاة مبدأ المفاوضة كوسيلة لتحقيق الاستقلال ورفضت مبدأ توقيع المعاهدات مع الدول الاســتعمارية أو الدخول معها فى اتفاقيات الدفاع المشــترك – كمـا هتفت بسقوط الحلف الاطلنطى كما هاجمت الاستعمار الامريكى .

– دعت مصر الفتاة الى الكفاح المسلح وطالبت الحكومة باباحة حمل السلاح وتكوين الكتائب .

– اعتبرت مصر الفتاة الاستعمار ذروة الرأسمالية كما اعتبرت الكفاح ضد النظام الرأسمالى صورة من صور الكفاح ضـــد الاستعمار .

مصر الفتاة فى مواجهة الاستغلال الاقتصادى :

– دعا أحمد حسين الى اشتراكية اسلامية .

– طالبت مصر الفتاة بتحديد الملكية الزراعية بخمسين فدانا .

- طالبت مصر الفتاة بان يحل الانتاج الجماعى محل الانتاج الفردى ٠

- طالبت بملكية الصناعات الرئيسية وكذلك الصناعات التى تتصل بالمنفعة العامة كالنور والمياه والمواصلات للدولة ٠

- طالبت بنظام الضرائب التصاعدية - لاعادة تنظيم الثروة - وطالب بوضع حد أدنى للدخول لا يقل عن (٣٠٠) جنيه سنويا وحد أقصي لا يزيد عن (٥٠٠٠) جنيه للفرد ٠

- طالبت بالغاء الرتب والالقاب ٠

- طالبت مصر الفتاة بتنظيم اتحادات للفلاحين والعمال بما يعطى حرية أكبر لهذه الطبقات فى تكوين النقابات ٠

- طالبت بأحقية العمال فى التشكيلات الحزبية ٠

- طالبت بتوزيع حاجات الشعب بالبطاقات التى تحدد الكمية المستحقة والثمن حسب الدخول ٠

- طالبت بايجاد عمل لكل مواطن ٠

- رفعت الجماعة شعار الاسلام يحرم الربا فهو يحرم الرأسمالية ٠

- ربطت مصر الفتاة بين الكفاح ضد الاستعمار والكفاح ضد الرأسمالية فى مصر بل وترى ان ضرب النظام الرأسمالى فى الداخل والاستعمار هما عملية ثورية واحدة ٠

- ترى مصر الفتاة ان الثورة تستهدف التحرر السياسي والتحرر الاقتصادى معا ٠

- ترى مصر الفتاة ان هناك علاقة عضوية وثيقة بين الاستعمار والرأسمالية المصرية ٠

- حددت مصر الفتاة انحصار الفساد فى الاقطاع ورأس المال (١٠) ٠

الاخوان المسلمون : ـ

نشأت جماعة الاخوان المسلمين سنة (١٩٢٧) على يد مؤسسها الاول (حسن البنا) ولقد استوعبت الجماعة الفكرة الاسلامية واعتبرت نفسها دعوة الاسلام فى القرن العشرين ـ ولقد اتسم فكر الجماعة بالشمول والترابط والتركيز على القضايا الاسلامية بشكل أساسي باعتبار ان الاسلام عقيدة وشريعة ـ مصحف وسيف ـ دين ودولة ـ عبادات ومعاملات ٠

ولقد نشأت الجماعة فى ظروف كانت تتسم بمحاولة سلخ المسلمين عن دينهم بكافة الاشكال وبشتى الطرق ٠ لقد كانت مصر فى ذلك الوقت واقعة تحت الاحتلال الانجليزى الذى

---

١٠ ـ انظر الارض الطيبة ـ أحمد حسين ٠
ـ مجلة الاشتركية ٠
ـ على شلبى مصر الفتاة ودورها فى المجتمع المصرى سنة (١٩٣٣)
ـ (١٩٤١) رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ آداب عين شمس سنة (١٩٧٥) ٠

استند الى مجموعة من أحزاب الاقلية وطبقة كبار الملاك . ولقد كانت مصر غارقة فى الجهل والامية ـ كانت فى وضع اجتماعى أقل ما يوصف به انه شاذ فهناك قلة مترفة تملك كل مصـــادر الثروة وتعربد بها ايما عربده ، خمر ونساء ومجـــون ودعارة وسرقة ورشاوى . تلك الطبقة التى لا تعمل شيئا بينما تملك كل شيء وفى الطرف المقابل تلك الطبقة الكادحة التى تمثل أغلبية الشعب تشقى ليسعد الاخرون وتبذل حبات عرقها الثمين ليراق ترفا فى قصور السادة ـ أغلبية تموت جوعا وأقلية تموت تخمة ، طبقة تملك كل شيء وأخـــرى محرومة من كل شيء حتى من كرامتها الانسانية محرومة من التعليم والعلاج والمأكل والمسكن ومن كل حقوق البشر (١١) .

ان الوضع الاجتماعى فى ذلك الوقت كان ضــــد طبـــائع الاشياء فالفلاح الذى هو عماد الثروة فى البلاد محروم من كل حقوق الادميين فهو جائع عار ـ تأكل الديدان احشاءه وتمتص الحشرات دماءه .

وابناء الفلاحين يجمعون من القرى والكفور للعمـــل فى التراحيل لتنقيـــة المزارع فى الدوائر والتفاتيش من الآفات ، واجسامهم الضامرة تنفل بالآنات وطبقة كبار الملاك التى تملك جميع عيوب الطبقة المتميزة بغير ان يكون لها أى من مـــزايا الطبقة الحاكمة جل افرادها غائبون عن أرضهم لا يرعونهـــا

---

١١ ـ سيد قطب ـ معركة الاسلام مع الرأسمالية .

يبددون ارباحهم فى الاستهلاك ولا يهتم أغلبهم فى زيادة ثروة الا بجمع الاراضي الزراعية فيزيد ثمنها بغير اهتمام بتجويدها ولا بالانفاق الاستثمارى عليها ـ وقد حجبوا بذلك جزءا هاما من الفائض الاقتصادى المتمثل فى الربح العقـــارى من أن يكون مصدرا لتمويل الصناعة أو تحسين جودة الارض ٠ وفوق ذلك كله حكومة لا تهتم الا بمصالح الرأسمالية ولا تحاول انفاق أى جزء من مواردها على المشاريع العامة ولكن كل شيء من أجل البطون المتخمة والايدى الناعمة وقد قامت الدولة بتقنين الظلم فى صورة تشريعات تكمم الافواه وتمنع المحرومين من المطالبة بحقوقهم يساندها فى ذلك مجموعة من المرتزقة من الصحفيين ومتاجرين بالدين من ذوى العمائم ممن باعـــوا ضـــمائرهم للسلطان وجهاز اعلامى يتعمد زيادة الامية والجهل لدى الشعب ويتهم كل من يطالب بحقوقه بتهمة كفيلة بهدمه ٠

كان ذلك كله ـ استعمار ـ جهل ـ أمية ـ مرض ـ فقر ـ ظلم اجتماعى صارخ ـ استبداد ـ ولقد دعت الحركة الاسلامية ذلك كله فقالت لا باعلى صوتها وكان صراعها الدامى ضد الافات السابقة ـ صراعا وحشيا ضـاريا لانه يمس جـــذور النظـــام الاجتماعى بأكمله ٠

ولقد دعت الحركة الاسلامية ان الطريق الوحيد لنهضـة المسلمين والسير قدما بهم الى الامام يعنى القضاء على النظام القديم كله محاولة ترقيعـه واصـــلاحه ويعنى القضـــاء على الاستعمار والرأسمالية ـ يعنى القضاء على الجهل والاميـــة ـ يعنى اطلاق كافة الحريات السياسية ٠ ولقـد رعت الحـــركة

الاسلامية أيضا ان ذلك فوق انه طريقها الوحيد فهو فريضة عليها أمام الله - لأن مقاومة الظلم فريضة اسلامية .

الاخوان المسلمون فى مواجهة الانجليز :

رأت الجماعة منذ أول يوم لنشأتها ان مظاهر التدهور فى مصر فى كافة نواحيها ترجع الى تدبير الانجليز وان سياستهم فى ذلك تنبع من كره عميق للاسلام والحضارة الاسلامية . فاسرفت انجلترا فى الترويج لمذاهب الشك والالحاد ومحاولة مسح تاريخ مصر الاسلامى حتى لا يجد المسلمون فى تاريخهم ما يدفعهم الى الاعتزاز والرفعة فضلا عن محاولة فصل الدين عن الدولة وتصوير الاسلام بصورة الدين التعبدى الروحى وشغل الناس بأوهام الصوفية وخلافات البيزنطيين وأساليب التواكل والذلة وطاعة الحاكمين والمستعمرين (١٢) .

ولم تقف الجماعة عند حد اعلان العداء عليهم فى مصر بل تعدته الى محاولة اثارة العرب والمسلمين ضدهم حيث اعتبرتهم أى الانجليز وغيرهم من دول الغرب الاستعمارية العدو الاول للعرب والمسلمين وانهم رأس البلاء ومصدر الشقاء وانه لن يعود للاسلام مجده ولن تقوم للاسلام قائمة الا اذا تحررت الشعوب (١٣) الاسلامية على أن الفرق بين معارضة

---

١٢ - الاخوان المسلمون العدد (٩) ١٩٤٨/٣/٢٠ مدرسة الاستعمار - الاستعمار الانجليزى أنور الجندى .

١٣ - الدعوة ١٩٥١/٣/٣ الاستعمار هو العدو الاول للعرب والمسلمين - صالح عشماوى .

الانجليز عند الاخوان وعند غيرهم من الاحزاب السياسية هو ان الاخوان اعتبروا ذلك جزءا من الجهاد لانه أى الاستعمار (**كالكفر مله واحدة**) وشر واحد ٠

كما ان الاخوان لم يركزوا بالنسبة لقضية الجلاء على مصر وحدها بل كانوا يربطون بين الاحتلال البريطانى فى مصر وبين الاستعمار فى العالم الاسلامى على مختلف أشكاله وجنسياته وكانت خطتهم تهدف الى توحيد الجهود - فالاستعمار الانجليزى فى مصر والسودان والعراق وشرق الاردن والايطالى فى ليبيا والفرنسي فى تونس والجزائر والهولندى فى اندونسيا ، كل ذلك لون واحد من العذاب وهم واحد نزل بساحة المسلمين فاستذلهم بعد عزة واضعفهم بعد قوة وفرقهم بعد وحدة وافقرهم بعد غنى وجهلهم بعد علم وامرضهم بعد صحة ودنسهم بعد طهر وعفة - وعن الاستعمار الانجليزى كانت ترى ان الذين يحكمون العراق هم الانجليز والذين خانوا فى فلسطين هم الانجليز والذين يثيرون الفتنة فى الهند هم الانجليز والذين يوقدون نار الفتنة بين أفغانستان وباكستان هم الانجليز والذين كانوا يعارضون فى تأميم البترول فى ايران هم الانجليز - وان الذين يهددون الحقوق الوطنية ويسوفون فى الجلاء عن مصر ويهدفون الى حل جماعة الاخوان المسلمين هم الانجليز (١٤) ٠

وفى أعقاب معاهدة سنة (١٩٣٦) التى اعتبرت فيها

---

١٤ - الدعوة - وانظر أيضا مجموعة رسائل الامام الشهيد ٠

الاحزاب الموقعة على المعاهدة ان الانجليز اصدقاء - وحلفاء دعت الجماعة الى وجوب تصحيح ذلك المفهوم لدى الجماهير واعتبارهم اعداء ومحتلين ولا سبيل الى اخراجهم الا السلاح (١٥) .

اتهم الانجليز البنا بالعمل لصالح ايطاليا والمانيا وقامت وزارة حسين سرى بمحاولة الحد من نشاط الاخوان ونقلت البنا الى الصعيد .

- اتهم الاخوان بالتدبير بمقتل أحمد ماهر الذى حاول ادخال مصر فى الحرب الى جانب الانجليز ضد دول المحور .

- وكان الاخوان المسلمون فى صدر الحركة الوطنية ابان الكفاح المسلح ضد الانجليز على ضفاف القناة وذلك نظرا لتنظيمهم الدقيق وحافزهم الاسلامى وتوفر العناصر العسكرية المدربة لديهم بسبب الاشتراك فى حرب فلسطين سنة (١٩٤٨) .

- يذكر التاريخ ان من تولوا القيادة والتدريب وممارسة العمل المسلح فى قناة السويس سنة (١٩٥١ - ١٩٥٢) هم من خريجى فلسطين ومنهم كامل الشريف وعلى صديق وعبد الرحيم البنا وحسن عبد الغنى وعبد العزيز على ومئات آخرين لا يتسع المجال لذكرهم من جماعة الاخوان (١٦) .

---

١٥ - النذير - العددان ٢٥ ، ٢٦ ، رمضان سنة (١٣٥٧) هـ السلاح - السلاح بقلم عيسي عبده .

١٦ - حسن دوح صفحات من جهاد الشباب المسلم - دار القلم - كويت .

- قامت الجماعة بتدريب طلاب الجامعة على السلاح وامدادهم به للقتال فى القنال (**كان معسكر الجامعـــة تحت اشراف حسن دوح احد عناصر جماعة الاخوان**) ٠

- معركة التل الكبير التى تم تفجير قطار انجليزى والقضاء على مجموعة كبيرة من جنود الاحتلال ولقد اسفرت المعركة عن استشهاد ثمانية شهداء نذكر منهم الاخ المسلم عمر شاهين والاخ المسلم أحمد المنيسي ٠

- نسف معسكر ابى سلطان ـ اشرف على هذه العملية الشيخ محمد فرغلى والشيخ يوسف طلعت وقد تم نســـف ذخيرة المعسكر مما تسبب عنه دمار ذلك المعسكر تماما ٠

الاخوان المسلمون فى مواجهة الجهل والامية : ـ

آمنت الحركة الاسلامية فى تاريخها الطويل بان العـــلم والتطور والايمان من أهم أسلحتها فى مواجهة الظلم والكفـر والطغيان ٠ ذلك ان العلم يفتح افاقا جديدة من التقدم والحرية ويسلح الجماهير بالوعى فى مواجهة قوى التخـلف والبطش وكان على الحركة الاسلامية ان تحـــاول نشر التعـليم بكافة الوسائل حتى يتسنى لها وبنجاح اداء دورها فى مواجهـــــة الرأسمالية التى لا تظهر الا تحت ظلال الجهل ولا تتعايش مع العلم والنور ـ لأن الجهل يجعل الجماهير تسكن وتخضع لذلك الظلم الاجتماعى المهين ٠

لقد رأت الجماعة ان نظام التعليم فى مصر فضلا عن أنه

لا يتيح فرصا متكافئة أمام الجميع فهو قاصر على القلة القادرة فانه يخرج المتعلمين وهم فى غربة كاملة عن تراثهم وقيمهم الاصلية ولذا فهو نظام يخدم الاستعمار .

- طالبت الجماعة بمجانية التعليم واتاحة الفرص المتكافئة أمام جميع ابناء الوطن على السواء .
- طالبت الجماعة بربط التعليم بالتربية الاسلامية .
- أسست الجماعة بمجهوداتها الخاصة مجموعة من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية .
- أهتمت الجماعة بمحو الامية وكان لها مجهود عظيم فى هذا الشأن وقد استعمل الاخوان طريقه وست الانجليزية لمحو الامية واشادوا بها وحققوا بها نتائج مبهرة .
- قامت الجماعة بتأسيس شركة مساهمة لتأسيس المدارس مما أدى الى تأسيس مدرسة أو أكثر فى كل شعبه من شعب الاخوان .
- قدم الاخوان فى مدارسهم منهجا خاصا بهم استطاعوا أن يحققوا به أهدافا عظيمه لقضيتهم .

الاخوان المسلمون فى مواجهة الظلم الاجتماعى : -

عانت مصر فى فترة نشأة الاخوان من نظام رأسمالى بشع اتسم باتساع غير عادى للهوة بين الطبقات .

فقد كان الفلاح فى مستوى حقير فى حين يشكل طبقة

كبار الملاك عبئا كبيرا على الامة بما يمتصونه من عرق الفلاح ودمه ليحيلوه الى قصور وترف وسجون ٠

وهكذا فان مصر كانت واقعة تحت وطأة رأسمالية زراعية أبشع من الاقطاع الاوربى ولربما كانت أبشع نظـــام عرفتـــه البشرية فى تاريخها الطويل ٠

ولقد اهتمت صحف الجماعة منذ اعدادها الاولى بقضية الفلاح فى محاولة منها للفت نظر المسئولين لما يعانيه الفلاح من الجهل والفقر والمرض ٠

– انشأت الجماعة فرعا داخلها للعناية بنهضة القرى المصرية والاصلاح الريفى وايواء واطعام الفقراء وانارة القرى ٠

– أسهمت الجماعة بدور بارز فى مكافحة الكوليرا والملاريا ٠

– كان الشهيد حسن البنا أول مصرى يرتفع صـوته فى احـــد دروس الثلاثاء (**كم تملك الاسرة المالكة فى مصر**) وطالب باعـــادة النظـــر فى الملكيـــات فى مصر وحصر الملكيـــات الكبيرة وتحديد الملكية الزراعية وتشجيع الملكيات الصغيرة حتى يشعر الفقراء والمعدمون بانه قد أصبح لهم فى هذا الوطن ما يعنيهم أمره ويهممهم شأنه وان توزع أملاك الحكومة فورا على هؤلاء الصغار ٠

– رأت الجماعة ان مصر لا تشكو من قلة الموارد بقدر ما تشكوا من سوء توزيع الثروة فانه لو تحقق ذلك لكان كفيلا بالقضاء

على أغلب المشاكل الاجتماعية فضلا عن مساهمته فى تخفيف حدة الفوارق الطبقية فيعم الجميع اليسر .

- حاربت الجماعة ما كان يبدو من مظاهر الترف والاسراف واقامة حفلات البذخ فى بيوت الاغنياء من رأسماليين وكبار ملاك .

- طالبت الجماعة بحق العمال فى تكوين نقاباتهم .

- طالبت الجماعة بزيادة الاجور بالنسبة للعمال بالحد الذى يكفل لهم مستوى معيشي انسانى لائق . هـذا وقد ركزت الجماعة على نشر حكم الاسلام فى الظلم الاجتماعى ورفض الرأسمالية ، كما قام أعضاء الجماعة بفضح النظام شبه الاقطاعى فى ملكية الارض ولقد كانت صحف الجماعة ومجلاتها منبرا لكل صاحب حق ان يطالب بحقه كما ركزت على كشف مساوىء النظام الرأسمالى وبيان موقف الاسلام من النظم الاقتصادية المختلفة والدعوة الى العدالة الاجتماعية كما أصدرت العديد من أعضاء الجماعة الكتب التى توضح موقف الاسلام من قضايا الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية مثل : -

- الشهيد سيد قطب الذى اصدر العديد من الكتب مثل : -

أ - معركة الاسلام مع الرأسمالية .

ب - العدالة الاجتماعية فى الاسلام .

جـ - تفسير آيات الربا .

معركة الاسلام مع الرأسمالية وكنموذج لكتابات سيد قطب فى هذا الصدد ٠

تكلم الشهيد فى هذا الكتاب فيما يلى :

- ان النظام الاجتماعى فى مصر نظام شاذ ضد طبيعة الاشياء ومخالف لروح الحضارة الانسانية وانه على المسلمين ان يثوروا عليه ٠
- انه يتهم الحكومة بانها تمثل طبقة الرأسمالية وانها تهمل المشاريع التى تعود على الجماهير بالنفع ٠
- أوضح حالة البؤس التى يعيشها الفلاح والعامل فى مصر وهما عماد ثروة البلاد ٠
- طالب الطبقة الكادحة بان تخوض معركتها بنفسها ولا تعتمد فى ذلك على بعض الباشوات الذين يدعون الثورية والتقدمية ٠
- طالب بالكفاح فى مواجهة الاستغلال وقال ان الكفاح يجب أن يكون مرتبا منظما طويل الاجل ـ كفاح قلم ـ كفاح بحث ـ كفاح تنظيم ـ كفاح تكتل ٠
- ربط الشهيد سيد قطب بين الرأسمالية والاستعمار وقال انه يجب كفاح الاثنين معا ٠
- نبه الى خطورة الاستعمار الامريكى وروح العداء الذى تظهره أمريكا لكل ما هو اسلامى ٠

- نعى سيد قطب على نظام الملكية الزراعية مطالبا بتحديدها قائلا انه من حق الدولة ان تنزع الثروات جميعا والملكيـــات لتعيد توزيعها على أساس جديد من العدالة الاجتماعية .

- طالب سيد قطب ان تتولى الدولة تنظيم التصدير والاستيراد .

- نبه سيد قطب الى ان الاحزاب القائمة مرتبطة بالاســـتعمار ولا ترغب رغبة حقيقية فى اجلائه ـ لارتباط مصالح الرأسمالية التى تمثلها هذه الاحزاب بالاستعمار .

٢ - الاستاذ محمد الغزالى : ـ

أ - الاسلام والمناهج الاشتراكية .

ب - الاسلام والاوضاع الاقتصادية .

ج - الاسلام والاستبداد السياسي .

د - الاستعمار اطماع واحقاد .

الاسلام والمناهج الاشتراكية : ـ

يذكر الشيخ محمد الغزالى ان : ـ

- الاسلام يرفض أن توجد طبقة تحتكر الثروة ص ٧٤ .

- ان الرأسماليين تستبدهم شهوة اكتناز المال ويستغلون العمال وينسون حقوق الله والناس وان الله جعل مراتب الناس بالعمل ولكن الملكية الزراعية ظهرت فى العصور الاخيرة بمصر مغلفة بظلال سوداء من الفوضي والاستهانة بالحقوق والمحـــاباة

للمحاسيب والاجانب والتجاهل لقيم العمل والعمال ص ٦٩ وان الميراث ينقل الثروة الى من لا يعمل وهو فى حد ذاته لا يحل الحرام ولا يسلب السرقة صفتها الاولى ص ٤٥ - ٥٢ وان الربا عصب الحياة المالية الحالية ودعامة النظم الرأسمالية وان الاسلام قد تم اقصاؤه عن الحياة الاقتصادية ص ٥٨ وان الشركات الرأسمالية الكبيرة تقتل صغار الرأسماليين وان المجتمع يفضي بفنون اللذائذ المحرمة ص ٤٥ وان الشركات تضخمت وقامت على اساس الاحتكار والتحكم فى الاسعار وجعلت الربا صفة ثابتة فى المعاملات ·

- طالب الشيخ محمد الغزالى بجعل المرافق العامة ملكا للدولة ·

- قام الشيخ الغزالى بالبحث فى أصول الملكية الزراعية ونشأتها فى مصر فقرر ص ١٥٢ استنادا الى أقوال عرابى « ان الخديوى اسماعيل قد قام بتمليك كميات كبيرة من الارض لكبار ضباط الجيش الذين ذهبوا الى المديريات لاستلام الاراضي المنعم عليهم بها - فكان كل واحد منهم يذهب الى بلد يختارها من أحسن البلاد تربة ويطلب تحديد المقدار المعين قطعة واحدة فى أخصب حوض فى الارض المملوكة لاربابها فيجاب الى طلبه ثم يحال المالكون الى الحيضان الاخرى التى توجد بها زيادة فى المساحة وقد لا توجد حيث يخصص مقدار الاراضي المأخوذة منهم على جميع الافدنة الموجودة فى البلد فيخص الفدان الواحد قيراطان أو ثلاثة أو أربعة فتؤخذ من الكل وتجمع فى جهه وتعطى لأولئك

المساكين بدلا من أراضيهم التى كانوا يملكونها وقد تكون هذه الاراضي من اردأ الانواع تربة .

ويعلق عرابى على هذه الواقعة بقوله ـ وتلك أول مظلمة من المظالم التى وقعت فى عهد اسماعيل .

ثم يقول الشيخ محمد الغزالى بعد ان يعدد مظالم الملك فاروق فى هذا الصدد .

(ان معنى الزمن وتنقل المواريث لا يحل الحرام ولا يبيح المحظور ولا يسلب السرقة صفتها الاولى ليوارى سوءتها فى لباس خداع) .

كما أصدر الاستاذ البهى الخولى كتاب (**الاسلام لا شيوعية** ولا رأسمالية) .

وأصدر الاستاذ الدكتور محمد طه بدوى كتاب (**حق مقاومة الحكومات الجائرة**) .

كما ذخرت المجلات والصحف ذات الاتجاه الاسلامى بمقالات الاستاذ محمد فتحى محمد عثمان الذى تميز بهجوم على الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعى .

الحركات الفلاحية فى قرى مصر (١)

بدأت الحركة الاسلامية لا تقتصر على التحريض النظرى بل تعدته الى اثارة الثورات الفلاحية فى سخا وكفور نجـم وبهوت وميت فضاله وغيرها من قرى الريف المصرى ٠

ولقد تميزت تلك الثورات الفلاحية بتعارف الفلاحين حول قيادات شعب الاخوان المسلمين الذين كانوا يعلمون الفلاح ان يأخذ حقه بنفسه وان يثور ضد كافة أشكال الاستغلال ٠

ولقد كانت الثورات تبدأ دائما بتقدم الفلاحين بمطالب محددة ضد الاقطاعيين الذين كانوا يردون على ذلك باستدعاء قوات البوليس التى لا تتورع عن اطلاق الرصاص على الفلاحين الآمنين ، وقد أدى ذلك الى استشهاد عدد كبير من الفلاحين مثل الشيخ عنانى وكيل شعبة الاخوان فى كفور نجم والذى كان قائد للثورة الفلاحية فى كفور نجم وفى بهوت ٠

ولقد كانت قيادة الاخوان للفلاحين فى تلك الثـورات ووقوفهم الى جانبهم فى ثورتهم ضد الاقطاع فى **سخا** (٢) سببا من الاسباب التى ابداها عبد الرحمن عمار كمبرر لحل هيئـة الاخوان المسلمين ، ولقد جاء فى المادة « ١١ » من مذكرته عن هذا الموضوع ما نصه : ـ

---

١ ـ انظر مجلات الدعوة ـ الاخوان المسلمين ٠
هذا الفصل تحية للشيخ عنانى احد شهداء الاخوان المسلمين في محاربة الاقطاع فى كفور نجم ٠

٢ ـ (**سخا**) احدي قري الريف المصري ٠

ثانى عشر : - وفى ٢٦ ابريل سنة (١٩٤٨) حرض الاخوان المسلمون عمال تفتيش زراعة محلة موسي التابع لوزارة الزراعة على التوقف عن العمل مطالبين بتملك أراضي هـــذا التفتيش الامر الذى سجلته تحقيقات القضية المذكورة ســنة (١٩٤٨) مركز كفر الشيخ ٠

وفى ٢٣ من ذى الحجة سنة (١٣٧٠) هـ - ٢٥ سبتمبر سنة (١٩٥١) م قالت مجلة الدعوة بين وقت وآخر يظهر فى الريف وحش ضار يفترس الماشية ويقتل القرويين وينشر الفزع - وتبدى الحكومة اهتماما كبيرا فترسل قواتها المسلحة فتحاصر المسرح ثم لا تلبث ان تقرأ أو تسمع ان قوات الحكومة قد نجحت فى القضاء على ذلك الحيوان المتوحش فتعــود الطمأنينة الى الريف غير أن الحكومة ، هذه الحكومة أو غيرها من الحكومات ترسل قواتها الكثيرة الارهابية لتمكن الوحوش الآدمية من رقاب الفلاحين فهى تطلق الوحش وتطلق معه الرصــاص يردى من تسول له نفسه الافلات من مخالب الغول ٠ ولم لا ، اليس السيد مالكا والعبد مملوكا وكيف يجرؤ العبيد على رفع رؤســهم امام السادة ؟؟ والسادة يملكون العبيد كما يملكون الخيل والبغال والحمير والقطط والكلاب ٠

طالب العبيد بالقوت الكفاف فى كفور نجم فقتل منهم من قتل وعذب من عذب وسجن من سجن وشرد من شرد وانتصر الغول الاقطاعى وارتوى وشبع ريا من دماء العبيد فقدمها على موائد السادة ليعبوا منها الشمبانيا والويسكى وانتصر الغـــول

الاقطاعى وانتفخ كرشه كما انتفخت اوداجه ، ولكن دولة الظلم ساعة ٠

وفى يوم الاثنين ١٧ سبتمبر سنة (١٩٥١) تلقى مكتب النائب العام هذه البرقية « **بوليس اجا جرد حمله على أهالى ميت فضاله واطلق أعيرة نارية اصابت** عبد الحكيم أحمد عطية وابراهيم على حرب **والمركز يخطر النيابة حيث ضاعت معالم الجريمة والمامور حجز اشخاصا بدون وجه حق ـ ولا تزال قوة ارهابية كبيرة ـ نرجو سرعة التحقيق** » وفى نفس اليوم تلقى مأمور مركز اجا هذه البرقية (**نحملكم المسئولية فى تجريدكم حمله على أهالى ميت فضاله كما نحملكم مسـئولية اطلاق النار عليهم** » ٠

ولقد أثبت مأمور المركز انه أكثر رحمة من سعادة النائب العام فبادر فور وصول البرقية بالاستجابة لنداء العبيد ـ فارسل عليهم فى صباح اليوم التالى طيرا ابابيل ترميهـم بحجارة من سجيل على هيئة جراد منتشر من رجال البوليس المسـلحين ليهاجموا ميت فضاله المستغيثة عقابا للعبيد على وقاحتهم وسوء أدبهم وسفالة خلقهم التى سولت لهم ان يستخدموا التلغراف كما يستخدمه السادة سواء بسواء ٠

وفى رأيى ان المأمور على حق كل الحق فماذا يخيفه من العبيد لا شيء أبدا اما السادة فبيدهم الرفع والخفض والحركة والسكون والنقل الى جحيم العبيد أو نعيم القاهرة ولا استبعد أن تكتشف عبقرية فذة وكفاءة ممتازة هبطت على مأمور مركز

اجا ليستحق عليها ان يكون بعد عشر سنوات أو أقل احد النجوم اللامعة فى سماء مصر التى لا يلمع فيها الا العباقرة الافذاذ من أمثال حضرة المأمور ، ولست ادرى هل هو من سوء حظ ميت فضاله أو من حسن حظها ان يختارها طلعت باشا ليملك فيهـا تفتيشا قوامه سبعمائة فدان ولست ادرى حتى الآن هو من حسن حظها أو من سوئه ان يكون حضرة صاحب المعالى عبد اللطيف طلعت باشا كبير امناء جلالة الملك هو كبير المستحقين فى هذا التفتيش فمعاليه وحده هو الذى يأخذ بيد العبيد فى ميت فضاله فيعتقهم لوجه الله ويوليهم ما يوليه للحيـــوانات المستأنســـة فى قصره ٠

السبعمائة فدان يا معالى الباشا التى تقع فى ميت فضاله أو تقع ميت فضاله فيها وهو جزء يسير مما تملكون فى غير ميت فضاله مقسمة الى قسمين متساويين أحدهما يستأجره العمدة وشيخ البلد والاخرى يستأجرها العبيد وقيمة الايجار يحددها وكيلكم - توقع له العقود بيضاء ٠٠ ٠٠ ويترك العبيد اختامهم عند كاتبه يختم بها على ما يشاء وقتما يشاء وضاق العبيد بالظلم فذهبوا الى جحورهم وتركوا المحصول لسيادة الوكيل وتفتــق ذهن سعادته عن جواب سعيد ٠٠ ٠٠ وهو ان يجنى المحصــول بقدرة وزارة الداخلية ٠٠٠ أليست هى التى سوت لهم الامر فى كفور نجم وبهوت ٠

فطلب الوكيل من المأمور ان يسوى الهوايل فى ميت فضاله وجاء حضرة المأمور على رأس قوة كبيرة لتأديب العبيد وقبض

على بعضهم واطلق النار على الاخرين ٠٠ ثم حدث أن هرب ثلاثة من العبيد ارسلوا البرقيتين اللتين ترتب عليهما حصـــار العبيد والتنكيل بهم ـ وقد اشتركت فى ذلك قوات من مركـز السنبلاوين وميت غمر والمنصورة ٠٠٠ ومن يوم ١٨ سـبتمبر وحتى كتابة هذه السطور ـ والكلام مازال لمجلة الدعوة سنة (١٩٥١) ـ والعبيد يذوقون الوانا متباينة من رحمة البوليس فى المركز وفى ميت فضاله ـ فمن تنزل رحمتكم انتم يا معالى الباشا على العبيد ٠٠

هذا جزء يسير من النضال النظرى والنضـــال الواقعى للحركة الاسلامية ضد كافة أشكال الاستغلال وبالذات فى مواجهة الرأسمالية الزراعية ٠

(فهل نحن مازلنا على الطريق)

المحتـــويات

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٠	مقرر	مقــررا
٨	٧	اوضع	اوضح
١٠	١	غيرها	غيرهما
١٩	١٣	الاشتركية	الاستراكية
٢١	١	أن	أنه
٢٥	٨	وموضبوعه	وموضوعة
٢٥	١٢	الانقال	الانفال
٢٧	١	واعطائها	واعطاؤها
٤٨	١٧	رضي عنه	رضي الله عنه
٤٩	٧	لرقية	لرقبــة
٦٢	٢	العلية العثمانية	العلوية العثانية
٧٣	١٥ ، ١٩	دعت	رعت



مطبعة حسان
٢٤١ أ شارع الجيش - القاهرة ت ٨٣٣٥٤٠